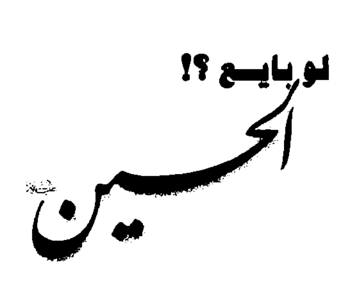
السيد عبد الكريم فضل الله
الحسيني العاملي

لو بايع الحسين عليه السلام ؟!

- الاسلام محمدي الوجود حسيني البقاء ؟
- الأمة المخدّرة ... الأمة المطيعة ؟!
- لمَ لم يواجه بقية الأئمة عليهم السلام كالحسين عليه السلام ؟
- ميزة الحسين عليه السلام عن كل الشهداء في التاريخ ؟
- لماذا الدمعة ؟ وكل عام ؟

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الثانية
2013م - 1435هـ


لو بايع ؟!
الحسين


بسم الله الرحمن الرحيم

لو بايع ؟!

الحسين عليه السلام

السيد عبد الكريم فضل الله
الحسيني العاملي

الطبعة الثانية

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م



إهداء

إلى سيد الشهداء (عليه السلام)..

إلى الإمام المهدي (عج) مُهدِي الحرية والعدالة لهذا العالم..

إلى عشّاق الحرية والحقيقة في مشارق الأرض ومغاربها..

إلى والديَّ اللذين ملأا البيت بحبّ الإيمان والعلم والحرية..

أهدي هذا الكتاب

مقدمة الطبعة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين. ورضوان الله على أصحابه المنتجبين والمقام الكبير للشهداء والعلماء والصالحين، والدعاء للإنسانية أن يخلّصها الله عز وجل من ظلم الظالمين وكيد الفجار والشياطين، الذين أرادوا أن يمحوا ذكر الله عز وجل وأن يزيلوا الحرية والعدالة والرحمة من البشر وذلك بطمس سير الأنبياء والصالحين و إلقاء الضبابية على حركاتهم وتأسيس انحراف الدين، لكي يدين الناس بغير دين الله خدمة لمآربهم ونزواتهم وأهوائهم.

في هذه المقدمة إنارتان:

الأولى: في الإضاءة ملخصاً على سبب عاشوراء.

والثانية: في معنى الإمامة والخلافة.

الإنارة الأولى:

فإن الحسين عليه السلام لم يقم لأجل طلب السلطة، ولو كان كذلك لما قال للناس أنّي سأستشهد، ولذلك تفرّق الآلاف من حوله، بل كان عليه أن يجمع الناس بالوعود وغيرها، فيقول لهذا سأجعلك أميراً، ولذلك سأجعلك وزيراً وآخر سأجعلك ثرياً، ووو ... وهذا أدنى ما يقوم به سياسي عادي. لكنه لم يفعل ذلك أبداً.

ولا قام الحسين ضد دولة ظالمة بعينها، وإلا لماذا لم يقم بقية الأئمة عليهم السلام من بعده، مع أن ظلم بني العباس أشد وأنكى.

يقول الشاعر:

يـا ليت ظلـم بنـي مـروان دام لنا وليـت عدل بنـي العباس فـي النار

وإن كان من حق الحسين عليه السلام بل كلّ إنسان حرّ كريم أن يثور على الظالمين.

لم يقم الحسين عليه السلام لأجل مظلوميته الشخصية أو مظلومية أهل بيته وأصحابه بخصوصهم، وهو حقّ له، ولو كان كذلك لَقَبِل إغراءات بني أمية في توليه إمارة أو ولاية.

ولم يطلب الحسين عليه السلام أيضاً الشهادة لأجل الموت، أو يأساً من الحياة، فهذا محرَّم شرعاً.

فلماذا قام الحسين وهو يعلم أنه سيستشهد؟!

لقد قام لأجل بقاء الإسلام كدين وفكر عالميين كما يقول الله عز وجل لرسوله الكريم **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**.

لولا الحسين لاندثر الإسلام، ولم نجد القرآن بين أيدينا.

بل لما سمعنا الأذان، ولما رأينا عقيدة ولا شرعاً، من كل المذاهب الإسلامية، شيعة وسنة!!!

كيف يكون ذلك؟

إن بني أمية استطاعوا تأسيس انحراف فكري لصلب الروحية الإسلامية وهي رفض الظلم وعدم الركون إلى الظالمين. إلا أن بني أمية، من أجل تدعيم ملكهم وسلطتهم، حرَّموا مواجهة الحاكم الظالم فاخترعوا الأحاديث من أجل ذلك: «أطع الأمير ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع». فصار القيام ضد الحاكم الظلام محرَّماً شرعاً، ويجب الصبر على فسقه وفجوره، ولذلك قالوا عن الحسين عليه السلام : «قتل الحسين بسيف جدِّه». أي يجب شرعاً قتله لقيامه

ضد سلطان عصره.

وهذا انحراف كبير وخطير في الفكر الإسلامي سيؤدي حتماً إلى زوال الإسلام.

أما كيف يؤدي إلى زوال الإسلام فبيانه:

إن النفس البشرية ترفض الظلم بطبيعتها كما يقول الشاعر:

إن ملكت الرقاب فابغِ رضاها   فلها ثورة وفيها مضاء

يَسّكن الوحش للوثوب من الأسر   فكيف الخلائق العقلاء

ومع استمرار ظلم بني أمية، وتراكمه عبر السنين سيثور الناس يوماً ما رفضاً للظلم - كما حدث فعلاً في ثورة بني العباس الذين قاموا تحت شعار الرضا من آل بيت محمد - وإذا ثار الناس سيقولون لبني أمية: اذهبوا عنَّا أنتم ودينكم الذي حكمتمونا به، أي الإسلام الذي أوجب علينا طاعتكم كما ادعيتم - وفبركتم - أما بعد عاشوراء، والصدمة الكبيرة التي صدمت المجتمع الإسلامي، فإن الأمة المخدَّرة بدأت تستيقظ، وبدأت تعي أن هناك إسلامين: إسلام محمدي أصيل استشهد الحسين عليه السلام لأجل بقائه واستقامته وعدم انحرافه. وإسلام مزَّيف صنعه بنو أمية.

ولذلك عندما قامت الثورة على بني أمية، قاموا ضد الإسلام الآخر، وبقي الإسلام من خلال الأصالة التي يعترف بها الناس جميعاً ومنهم الثائرون على سلاطين الجور والظلم وعلى وحوش المال وجبروت السلطة الغاشمة.

وبالفصل بين هذين الفكرين، بقي الإسلام وقوي الدين كعقيدة.

كما نقرأ في زيارته عليه السلام: «أشهد أنه لقد طيَّب الله بك التراب وأوضح بك الكتاب...».. وبهذا الانتصار للدين الذي عبَّر عنه الإمام عليه السلام: كما هو المروي، «عندما يؤذِّن المؤذِّن تعلم من هو المنتصر». جواباً لمن سأله عن المنتصر في كربلاء؟

هذه كانت إحدى الغايات الأساسية من عاشوراء ومع حصول الغاية، لم يقم

بقيّة الأئمة من ولد الحسين عليه السلام بحركة ثورية دموية، رغم ظلم السلاطين في زمنهم، إذ لا داعي لذلك، مع وجود أدوار أخرى لكل منهم تصب كلها في خدمة الرسالة.

أما كيف استطاع الأمويون نشر هذا الانحراف وهو وجوب طاعة الحاكم ولو كان فاسقاً ظالماً جائراً، ورغم مخالفته للوجدان الإنساني ولآيات القرآن الكريم الواضحة الجليّة، ولسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، فهذا ما تعرَّض له هذا الكتاب، وإن اشتمل على مطالب أخرى من قبيل سبب إقامة ذكرى الحسين كل عام، بل في كل زمن، وسبب الحث على البكاء عليه، وأهمية بقاء القيم التي استشهد لأجلها.

ليكون الفرق واضحاً بين الحسين عليه السلام، بين كل الشهداء في تاريخ البشرية، الذين نحترمهم وننحني إجلالاً لهم.

الإنارة الثانية:

نحن في زمن الشحن الطائفي والمذهبي سمعت من بعض الفضائيات على لسان بعض المتحدثين والخطباء كذباً كثيراً عن الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام، وكلّها كذب وافتراء لا يستحق منّا الرد.

ولكن سمعت سؤالاً ذكره بعض المشايخ وهو التالي: إذا كانت الخلافة لباساً ألبسه الله لعلي عليه السلام وللحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين عليه السلام فهل يستطيع عليّ التنازل عن ذلك ولو كان تقية؟! وهل يستطيع الحسن عليه السلام المصالحة عليها ولو تحت الضغط؟ وما معنى أن يكون عليّ موصى؟

والجواب بكل بساطة واختصار:

الخلافة أمران: إمامة وسلطة.

أما الإمامة فهي جعل وتنزيل من الله عز وجل: **﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك، فإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾**. فهي كالنبوة. وصحيح ما قالوا: إنّ النبوة غير قابلة للتنازل أو المصالحة. ونقول:

كذلك الإمامة. ولهذا ورد في الحديث الشريف:

«الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا». فالحسن عليه السلام إمام حتى لو صالح على السلطة، والحسين عليه السلام إمام حتى لو استُشهد ورُفع رأسه على الرماح. انظر إلى قول عمر الخطاب: «لولا علي لهلك عمر»، و«ما بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن».

أما السلطة، فهي بحكم العقل لأفضل الناس، وأفضل الناس هم الأنبياء ثم أوصياؤهم، ثم الأولياء، ثم العدول من أهل الخبرة، وهكذا.

لكن الأنبياء لم يتسلموا جميعاً السلطة، لقد كان بعضهم ملوكاً مثل داوود عليه السلام وسليمان عليه السلام، وبعضهم طلب المُلك مثل يوسف عليه السلام فقد قال لفرعون: اجعلني على خزائن الأرض». وبعضهم لم يكن كذلك بل عذّب وتشرّد مثل عيسى بن مريم عليه السلام.

والسرّ في ذلك أن السلطة وتدبير أمور الناس ليست سوى وسيلة لتنفيذ الرسالة والشرع المقدس، بما فيها من قيم الحرية والعدالة والإنسانية.

فإن وجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام عليه السلام مصلحة للرسالة وللأمة أن يتصدي لتسلّم السلطة فعل ذلك، كما فعل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والإمام علي عليه السلام والحسن عليه السلام.

وإن وجد النبي أو الإمام أن من مصلحة الرسالة والأمة عدم التصدّي لتسلّم السلطة تركها وصالح عليها.

والأئمة عليهم السلام هم من يجب أن يتسلّموا السلطة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عقلاً ونقلاً.

أما عقلاً فهم الأفضل كما تشهد حوادث التاريخ.

وأما نقلاً فقد عيّن رسول الله علياً إماماً وخليفة من بعده، وبيَّن ذلك من أول زمن من البعثة إلى آخر زمن فيها.

من أوّل زمن البعثة عندما نزل قوله تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾.

حيث قال الرسول: هذا أخي ووصيي ووزيري وخليفتي من بعدي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا.

وآخر من من حياته، حين دنت منه الوفاة وطلب دواةً وكتف ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً. وذلك فيما عرف فيما بعد برزية يوم الخميس.

ولعلَّ هذه الأوامر فيما نسمِّيه من علم الأصول بالأوامر الإرشادية إلى حكم العقل بوجوب تسلّم الحكم أكفأ الناس وأفضلهم، إذ ما فتئ الرسول ﷺ ينادي بين الناس: «أقضاكم علي» و«أعلمكم علي» و و... ولكن حبَّ الدنيا والسلطة يعمي ويصمّ.

وملخص القول: إن الإمامة لم يتنازل عنها الأئمة عليهم السلام قط ولذلك بقوا المرجع في التشريع، والرمز والقدوة، والمفزع للناس في كل أمور دينهم ودنياهم، كما روي عن عمر بن الخطاب حيث قال لمن حوله باحثين عن مسألة عويصة جداً عسرت عليهم جميعاً: «إني لأعرف أين مفزعها وأين منتزعها» قاصداً أبا الحسن علي بن أبي طالب.

أما السلطة فقد تركها الأئمة لما رأوا أن ذلك أجدى لمصلحة بقاء الدين.

وهو تفسير قول الإمام عليه السلام: «أنا لكم وزير خير مني أمير».

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، داعياً الله عز وجل أن يكون لي الثواب في كل حرف كتبته، ويكون للقاريء الثواب في كل حرف يقرأه وينشره.

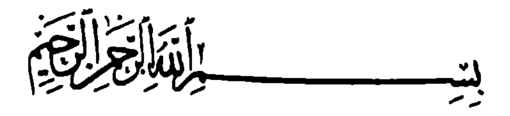
بيروت في: ٢٥ ذي الحجة - ١٤٣٤هـ

الموافق: ٣١- تشرين أول- ٢٠١٣م

أخوكم في الله

عبد الكريم فضل الله

دوافعي للكتابة



بسم الله قاصم الجبّارين، مبير الظلمة ومدرك الهاربين.

بسم الله ربّ الأنبياء والأوصياء والشهداء والصدّيقين.

وصلّى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين، وعلى مَنْ تبعهم بصدق وإحسان إلى قيام يوم الدين.

لطالما رأينا الحسين (عليه السلام) ثائراً ضد الظلم، ثائراً أبى أن يحني هامته أمام جبروت المستكبرين؛ وقد يراه البعض من قليلي التأمل مثله مثل

الكثيرين من قبله ومن بعده ممن استشهدوا وضحّوا بكل غالٍ ونفيس من أجل كرامتهم وعزّهم.

ولطالما رآه البعض رجلاً عظيماً أراد الوصول إلى السلطة ليحقّ الحقَّ ويحكم بالعدل، كما قد يوحي بذلك قوله (عليه السلام) في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية:

"إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمَّة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى المنكر، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومَنْ ردَّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين".

وقد يراه البعض من قليلي التأمل أيضاً مثله مثل الكثيرين في أنحـــاء المعمورة مَمَنْ ثار ضد الظلم، وحاول الوصول إلى السلطة من أجل إصلاح الأمّة.

لم تَرُقْ لي هذه الصورة الباهتة للحسين (عليه السلام) ولكربـــلاء، لقد كنت أرى شعاعاً من نور يلمع بين السطور، خفي على الكثـــيرين، شعاعاً يضيء جانباً مهماً ورئيسياً من أرض المعركـــة، لم تطـــأه أقـــدام الروائيين والقصّاص، ومنهم كثيرون من مُوالي الحسين (عليه الســـلام)، الذين أحبُّوا أن يكون الحسين (عليه السلام) بطل ملحمة كربلاء، بطـــلاً شعبياً بامتياز، هو وأخوه أبو الفضل العباس وابنه عليّ الأكبر وبقية أهـــل بيته وأصحابه، في الشجاعة والبطولة وحسن البلاء في أرض المعركة، مـــع ما رافق ذلك من أرقى معاني الإنسانية من التفاني والتضحيـــة والمـــروءة والإيثار.

ثمّة فواصل في كربلاء تدلّ على أنّ الحسين (عليه السلام) لم يكـــن مجرّد ثائر، كربلاء كانت أكثر من "شقشقة"، لقد كانت أكبر من ثـــورة،

وأعظم من نهضة، بل وأقسى صفعة لتلك الأمّة المخدَّرة الواهية أمام جلاَّديها، كما سنبيِّن ذلك في الكتاب.

أخوه الإمام الحسن (عليه السلام) من قبله، وأولاده الأئمة (عليهم السلام) من بعده، لم يقوموا بعمل ثوري مماثل، على الرغم من أنَّ وتيرة الاضطهاد كانت في ارتفاع مستمر؟!

تُرى هل يختلف معاوية عن يزيد؟ أو هل يختلف يزيد عن بني العباس عن غيرهم من السلاطين الذين جاؤوا بعدهم؟

وتتوالى التساؤلات التي طُرِحَتْ علينا:

أين هو التمايز الذي جعل الحسين (عليه السلام) حيّاً، نبكيه بعد أكثر من ١٤٠٠ عام على استشهاده، بل تتجدّد ذكراه وتزداد انتشاراً كلما مرَّت السنين، وهذا على خلاف حال الدنيا التي طَبَعَت الناس على النسيان مع مرور الأعوام؟

أين هو التمايز عن كل شهداء التاريخ الذي جعله مدرسة لكل الأحرار، يقتدون به، وجعل أهل الظلم يخشون اسمه، فيحاربون ذكراه ونهجه، وهم مستمرون على ذلك إلى يومنا هذا؛ فليست محاربة الحسين (عليه السلام) ونهجه مقتصرة على بني أميّة كي يقال إن الحسين كان ضد بني أميّة وحسب.

وبدأت أفتش في كتب السيرة والتاريخ، أقارن وأحلّل، علّني أصل إلى ذلك التمايز.

وإن كان لكل إمام دور، فما هو دور الحسين في استشهاده؟ وما هو موقع كربلاء من الرسالة الإسلامية؟

باختصار:

يقول الله عزّ وجل في كتابه الكريم:

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار﴾[1].

---

(١) سورة هود، آية ١١٣.

فجاء سلاطين الظلم وقالوا:

"بل اركنوا إلى الذين ظلموا فتدخلوا الجنّة".

لقد قلبوا الهرم على رأسه، فجاء الحسين (عليه السلام) ليعيده مستوياً.

لقد كان الحسين مدرسة عدالة الإسلام في مواجهة مدرسة **أسلمة الظلم**.

وبهذا كانت كربلاء للتاريخ، للإنسان، لكل شعوب الأرض.

ولهذا كانت الدمعة السخيَّة على مصاب الحسين، ولهذا تتجدّد ذكراه.

ومع تجدد الذكرى يتجدد بثّ نَفَس روح الحرية الحقيقية في النفوس الخائرة، وهنا أسجّل استغرابي لاقتصار الاحتفال بذكرى الاستشهاد على

بعض المسلمين، ولا يحتفل الآخرون من المسلمين وغيرهم من بقية الأديان والملل، فيُحرمون من كثير من أنوار وبركات عاشوراء.

وسيتبيَّن أن الحسين لم يطلب المعركة، لقد كانت حركته سلميَّة، ومعركته دفاعية، ومواجهته ضرورة لبقاء الإسلام والإنسان.

نعم، لو لم يواجه الحسين، و لم يحصل الفرْز بين المدرستين: مدرسة أهل البيت ومدرسة بني أميَّة، ولو بايع الحسين، لكان الإسلام الباقي على الأرض هو المتمثّل في سلاطين المسلمين، والذي سيؤدّي حتماً إلى انتفاضة عليهم، وثورة من قِبَل الشعوب، لتراكم مظالمهم عبر السنين، ولن يُفرِّق الثائرون حينئذٍ بين الإسلام وبين هؤلاء السلاطين، لاندثار الإسلام الأصيل[1]، وانحصار الإسلام بهم، وبهذا يزول ذكر القرآن والإسلام كلياً عن وجه الأرض، وحينئذٍ تخسر البشرية أعظم دين جاء رحمة للعالمين،

---

(١) طبعاً، لو لم تحدث كربلاء، ولكن مع كربلاء، حدثت الثورات على بني أميّة، وأزيلوا عن عروشهم، وقامت الثورات ضد السلاطين لا ضد الإسلام.

ويذهب كل جهاد الرسول الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله) من أجـــل الإنسانية، ومن هنا صدق مَنْ قال:

"الإســـلام محمـــديّ الوجـــــود،

حسيني البقـــاء".

من أجل كل هذا جئت بهذا الكتاب، وتوخَّيت تبسيط العبـــــارة، وتسهيل المطالب، والاختصار ما أمكن، فأتيت بنمـــاذج مـــن الآيـــات والروايات والأحاديث الشريفة، والأحداث التاريخية والأقوال والمواقـــف، عند أي تحليل أو نظرة أو فكرة، كشواهد وأدلّة وبراهين لما أردت بيانـــه، كي أسهِّل على القارئ العزيز، وتركت الباقي ليرجع إليـــه الراغـــب في التوسع.

و لم أتطرق لكثير من الأبحاث في الحالات الاجتماعية والأوضـــــاع الإقتصادية والسياسية التي سبقت أو واكبت وقعة الطف، لاقتصاري منها على ما يهمّ بحثنا في الكتاب، وهو تسليط الضوء على جانب مهم مــــن كربلاء، ودور مهم من أدوار الإمام الشهيد الحسين (عليه السلام).

آملاً من الله جلّ شأنه أن يَنْفَع به، وينفعني به يوم لا ينفع مـــال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليم، إنه أكرم الأكرمين.

حرر في بيروت

صباح الجمعة ٢٨ شوال ١٤٢٠ هجرية

على مهاجرها وآله أفضل الصلاة والسلام

عبد الكريم فضل الله



ذهنية السلطة الأموية

نظرة سريعة على ماضي معاوية:

كان من الصعب على معاوية بن أبي سفيان أن يحكم المسلمين بعد أن صار الحاكم والسلطان والأمير والخليفة عليهم، إنه يحكمهم باسم الإسلام، وكخليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، مع أنه حارب الإسلام وحارب الرسول (صلى الله عليه وآله) قرابة واحد وعشرين عاما مع أبيه أبي سفيان بن حرب، ومع كفار قريش، حربا ضروسا شرسة، يشيب لهولها الصغير ويهرم من ضراوتها الكبير، يؤلبون ذؤبان العرب

وأفاعي الصحراء من وثنيين ومنافقين ويهود، لا يتركون وسيلة إلاّ ويحاربون فيها الله ورسوله[١].

كيف يمكن أن يستقر لمعاوية حكم المسلمين باسم الإسلام، وباسم خليفة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وهو ابن أبي سفيان، وابن آكلة الأكباد هند بنت عتبة التي بقرت بطن الحمزة بن عبد المطلب عمّ الرسول (صلّى الله عليه وآله) واستخرجت كبده ولاكته تشفياً وحنقاً وكرهاً للإسلام وللرسول (صلّى الله عليه وآله)، ومعاوية لعنه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عندما نظر إلى أبي سفيان مقبلاً على حمار ومعاوية يقوده، ويزيد ابنه الآخر يسوقه، فقال (صلّى الله عليه وآله):

لَعَن الله الراكب والقائد والسائق[٢].

---

(١) وإن كان يتمتع من جهة أخرى بتأثير قسم كبير من بطون قريش وبعض قبائل العرب التي أسلم معظمها بعد فتح مكة، فلمْ تترسخ المفاهيم الإسلامية في قلوبهم، بل بقيت الجاهلية متجذّرة فيهم، خصوصاً أولئك الذين يحقدون على علي بن أبي طالب كونه وترهم وقتل أبطالهم أثناء معارك النبي (صلّى الله عليه وآله) دفاعاً عن الإسلام.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١٢، ص١٠١، طبع دار الكتب العلمية، بيروت.

وكأنه يريد أن ينهانا عن منهجية هؤلاء ومســــلكهم وذهنيتـــهم وكيفية تعاطيهم مع الحياة[١].

ومعاوية لم يسلم إلاّ عند فتح مكة، أي قبل وفاة الرسول (صلّى الله عليه وآله) بحوالي سنتين فقط، أي عندما دخل كفّار قريش في الإســـلام، وأصبح ديناً يعترف الجميع بعدم إمكان إلغائه أو الانتصار عليه، وأصبـــح المسلمون مرهوبي الجانب، وقوة ذات شوكة، وأصبح الدخول في الإسلام عزاً وفخراً، ومحاربته ذلاً وهواناً، وكان لا بدّ حينئذٍ مـــــن الدخـــول في الإسلام.

---

(١) اللعن غير السبّ، فاللعن كما عن لسان العرب هو الإبعاد عن الخير، وقيل الإبعاد عن الله، فهو عبارة عن وضع حاجز نفسي بينك وبين الملعون لتبتعد عن ذهنيته وخلفيته النفســـية، ولذا كان الرسول (صلّى الله عليه وآله) كثيراً ما يلعن، كقوله (صلّى الله عليه وآله): "لَعَن الله من ألقى كلّه إلى الناس"، فهو لا يشتم ولا يسبّ، بل يريد أن ينهانا عن نمط تفكير هذا الإنسان ونمط حياته، هذا الإنسان الكسول غير العامل وغير المنتج، يريد أن يبعدنا عنـــها لعدم وجود خير فيها، كذلك قوله (صلّى الله عليه وآله): "لَعَن الله مَنْ تخلّف عن جيـــش أسامة"، يريد توجيهنا إلى الخط المستقيم، ولذا نجد القرآن الكريم يلعن **﴿أولئك يلعنـــهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾** وكذلك الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله)، بينمـــا لا نجـــده يسبّ ويشتم.

ذهنية معاوية:

ومعاوية يريد أن يعيش كما يحلو له، يريد أن يجعل أموال الناس ومصائرهم بيده، طيعة لنزواته وأهوائه ومن حوله من بني أمية، ليجعل من الخلافة الإسلامية حكما ديكتاتوريا تسلطيا كسرويا قيصريا وراثيا، يسفك الدماء التي حرم الله، ويتعدى على حرمات الله، ويستولي على أموال الناس بالقهر، يمنع من يشاء، ويعطي من يشاء، ويعين من يشاء، ويعين ابنه يزيد شارب الخمر والمعلن بالفجور خليفة وسلطانا على المسلمين من بعده.

كان معاوية يقول:

المال مال الله، وأنا خليفة الله،
فما أخذت فلي، وما أعطيت
فبالتفضل مني[1].

---

(١) وفي مروج الذهب: "الأرض لله وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركت منه كان جائزا لي. فقال له صعصعة بن صوحان:

تمنيك نفسك ما لا يكون ... مهلا معاوي لا تأثم

مروج الذهب للمسعودي، ج٣، ص٥٢، طبعة مصر، مطبعة السعادة، الطبعة الرابعة.

يرتكب معاوية الآثام وهو يعلم ذلك، وستأتي أقواله، ويجعل الخلافة وإمامة المسلمين ملكاً عضوضاً وراثياً (ونعلم كم للخلافة من أهمية بالغة في حياة المسلمين التشريعية والإقتصادية والسياسية والإجتماعية) كل ذلك نزولاً عند رغبته في تعيين ابنه يزيد من بعده، وهو يعلم أن في ذلك إثماً وتحطيماً للإسلام.

يقول معاوية مخاطباً ولده يزيد:

أيّ ولد أعقّ منك وأكْيَد، وقد علمتَ أنّي تخطّأتُ (أي تأثّمتُ) الناس كلهم في تقديمك، ونزّلتهم لتوليتي إياك، ونصبتك إماماً على أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وفيهم مَنْ عَرَفْتَ! وحاولتُ منهم ما عَلِمْتَ[1].

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري، تحقيق طه محمد الزيني، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، الجزء الأول، ص١٦٧.

ويبقى السؤال الكبير لدى معاوية: كيف يتمكّن من كل هذا وهـو يخالف الإسلام، والحال أنه يحكم باسم الإسلام؟!!

الحلّ:

إنه لا يريد أن يعارضه أحد، رغم أن ما يفعله يخـالف بديـهيات الدين، فكان لا بدّ (برأيه) من تغيير للمبادي الإسلامية، ليجعل كل أفعاله وظلمه أفعالاً إسلامية، وبهذا يسكت عنه الناس، ويطلق لنـزواته العنان.

ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟

وفكّر معاوية... وفكّر، فتوصل إلى فكرة جهنمية خطيرة. لقد قرّر إنشاء مدرسة فكرية أخرى، هي مدرسة بني أميّة، تواجه مدرسة أهـل البيت (عليه السلام) التي أسّسها رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

معالم المدرستين:

ـ مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)

ـ مدرسة بني أميّة

مدرسة أهل البيت (عليهم السلام):

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، مَنْ ركبها نجا، ومَنْ تخلّف عنها غرق، (وفي رواية هلك)[1].

معالم مدرسة أهل البيت:

تتمثّل هذه المدرسة في بعض جهاتها التي تهمّ بحثنا بأمور:

١. برفض الظلم بجميع أنواعه، واعتباره غير شرعي، وبترسيخ مبادئ العدالة الإنسانية، ببناء مجتمع تسوده العدالة، ومبدأ تكافؤ الفرص

---

(١) هو من الأحاديث المتواترة عند المسلمين، وقد ورد بألفاظ وصيغ متعددة، ودوّنته الكثير من كتب الحديث، فقد رواه الحاكم في المستدرك، الجزء الثاني، ص٣٤٣، والسيوطي في إحياء الميت، ص٤٦، وابن حجر في الصواعق المحرقة، ص١٨٦، طبعة شركة الطباعة الفنية المتحدة، والطبري في ذخائر العقبى، ص٢٠، وفي غيرها كثير.

والمساواة أمام القانون، نذكر هنا مثالاً قضية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مع النصراني والدرع:

خرج علي بن أبي طالب (رض) إلى السوق، فإذا هو بنصراني يبيع درعاً، فعرف علي (رض) الدرع، فقال هو درعي، بيني وبينك قاضي المسلمين، وكان قاضي المسلمين شريح، كان عليّ استقضاه، (أي عيَّنه قاضياً) فلما رأى شريح أمير المؤمنين قام من مجلس القضاء وأجلس عليّاً في مجلسه، وجلس شريح قدّامه إلى جنب النصراني، فقال عليّ:... اقضِ بيني وبينه يا شريح. فقال شريح: ما تقول يا أمير المؤمنين؟

فقال عليّ (رض): هذه درعي ذهبت مني منذ زمان. فقال شريح: ما تقول يا نصراني؟ فقال النصراني: ما أكذّب أمير المؤمنين، الدرع هي درعي. فقال شريح: ما أرى أن تخرج من يده، فهل من بيِّنة؟ فقال (رض): صدق شريح[1]. فقال النصراني: أمّا أنا أشهد أنّ هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يجيء إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه، هي والله يا أمير المؤمنين درعك، اتبعتك من الجيش وقد زالت عن جملك الأورق فأخذتها، فإني أشهد أن لا إله إلاّ

---

(١) لأن اليد أمارة على الملكية، ولا ترفع اليد عن هذه القاعدة إلاّ ببيّنة.

الله، وأن محمداً رسول الله (صلّى الله عليه وآله). فقال علي: أمّا إذا أسلمت فهي لك، وحمله على فرس عتيق[١].

٢. بناء مجتمع حرّ، ضمن الحدود الإنسانية والأخلاقية والشرعية، كي لا تكون فوضى، وذلك في الفرد والمجتمع، مسلكاً وفكراً، وفي تعاطي الدولة مع الشعب.

نظرة الإسلام إلى الحرية:

ينظر الإسلام إلى الحرية أنها ليست مجرد حق كما هي أفضل النظريات في الفكر الغربي الحالي، بل ينظر إليها أنها أهمّ من الحقّ، إنها قيمة إنسانية، لأن قيمة الإنسان بحريته، فكلما ازداد حرية ازداد إنسانية،

---

(١) ترجمة الإمام علي (عليه السلام) لابن عساكر، ج٣، ص٢٤٤، تحت رقم ١٢٦٢، مطبعة المحمودي، بيروت.

وإذا أمكن التخلّي عن الحق[١]، فإن القيمة والجوهر لا يمكـــن التخلّـي عنهما؛ وذلك أن الإنسان هو مخلوق الكون الأسمى الذي يتمتع بـالإرادة والاختيار، فالجمادات تتحكّم بها قوانين الطبيعة، والحيوانات تتحكّم فيها غرائزها، والملائكة مخلوقات مطيعة لا تملك هوى يدفعها إلى المعـاصي، ولذا ورد في الحديث ما مضمونه أن الخلق ثلاثة: شهوة بلا عقل وهـو الحيوان، وعقل بلا شهوة وهم الملائكة، وعقل وشهوة وهو الإنسان. فإن تغلّبت شهوته على عقله كان أخسّ من الحيوان، وإن تغلّب عقله علـى شهوته كان أفضل من الملائكة.

وقد ورد في القرآن الكريم:

﴿لا إكـراه في الديـن﴾[٢]، و ﴿إنّـا هديناه السـبيل إمّـا شـاكراً وإمّـا كفـورا﴾[٣].

---

(١) كما لو تخلّى الإنسان عن حقه في الاختصاص بشيء، أو تخلّت المرأة عن حق حضانـة الطفل.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٥٦.

(٣) سورة الإنسان، آية ٣.

كما اشتهرت كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام):

لا تكونَنَّ عبد غيرك وقد خلقك الله حراً[١].

كذلك الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء يخاطب أهل الكوفة:

يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم[٢].

٣. حق الإنسان في رعاية الدولة أو المجتمع، وذلك بترسيخ الأمن، وسدّ حاجات الناس، وهو ما يسمّى في أيامنا هذه بالضمان الاجتماعي، بما يكفل الحياة الكريمة للجميع.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي، ص٤٢١، طبعة دار الصفوة، بيروت.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين، ص٥٠٤، طبعة دار المعروف.

الضمان الإجتماعي وضمان الشيخوخة

يروى أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان في بعض شوارع الكوفة، فمرّ شيخ مكفوف كبير يسأل (أي يتسوّل)، فقال أمير المؤمنين(عليه السلام):

ما هذا؟ قالوا يا أمير المؤمنين نصرانيّ. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه، أنفقوا عليه من بيت المال[1].

انظر كيف كانت مدرسة أهل البيت تنظر إلى كرامة الإنسان، فتؤسس الضمان الاجتماعي الكامل، ومنه ضمان الشيخوخة[2].

---

(١) وسائل الشيعة للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، ج١١، ص٤٩، ب١٩، أن نفقة النصراني إذا كبر وعجز عن الكسب من بيت المال، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) تعتبر بعض الدول المتقدمة حالياً هذا النوع من الضمان من أهم إنجازاتها الإجتماعية، لكن كما نرى فإن الإسلام على لسان أمير المؤمنين (عليه السلام) سبق العالم كله بتأسيس ضمان الشيخوخة، أي أنه أسس هذا النوع من الضمان قبل ١٤٠٠ عاماً تقريباً.

٤. الاستمرار على ترسيخ الشريعة الإسلامية التي جاء بها محمد (صلّى الله عليه وآله) وبيان أحكامها وقواعدها.

٥. الحفاظ على الدين بشقّيه العقائدي والتشريعي.

٦. أن يكون الخليفة هو المثال العقائدي والتشريعي[1].

وأذكر هنا قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في رسالة لعثمان بن حنيف الأنصاري، وكان واليه على البصرة، وقد بلغه أنَّه دُعِيَ إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليها[2]:

أما بعد يا ابن حُنَيف، فقد بلغني
أن رجلاً من فتية أهل البصرة
دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها،
تستطاب لك الألوان، وتنقل

---

(١) لا أريد أن أطيل في هذا فقد كتب عنه الكثيرون.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٤٥ من كتب أمير المؤمنين ورسائله، وهو كتاب الإمام علي (عليه السلام) لواليه على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري.

إليك الجفان[١]، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قومٍ عائلهم[٢] مجفوٌ، وغنيّهم مدعوٌ، فانظر إلى ما تقضمه[٣] من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجهه فنل منه. ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطِمريَه[٤]، ومن طُعْمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفّة

---

(١) الجفان: الأواني والأطباق.

(٢) العائل: الفقير. مجفو: مُعْرَض عنه.

(٣) تقضمه: تأكله ببعض الفم.

(٤) الطمر: الثوب الخَلِق البالي.

وسداد، فوالله ما كنزتُ من
دنياكم تبرا[١]، ولا ادَّخرت من
غنائمها وَفَرا، ولا أعددت لبالي
ثوبي طِمرا، ولا حزْتُ من أرضها
شِبرا، ولا أخذت منه إلاّ كقوتَ
أَتان دَبِرَة[٢]، وَلَهِيَ في عيني
أوهى من عفصة مَقِرة[٣]

....

.......ولو شئت لاهتديت
الطريق إلى مصفّى هذا العسل،
ولباب[٤] هذا القمح، ونسائج
هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني
هواي، ويقودني جشعي إلى تخيّر

---

(١) التبر: الذهب.
(٢) أنثى الحمار التي عُقر ظهرها، فقلّ أكلها.
(٣) مقِرَة: مُرَّة.
(٤) لُباب: جمع لُبّ.

الأطعمــة، ولعـــــلّ بالحجـــاز أو باليمامــة[١] مــن لا طَمَــع لـــــه في القرص[٢] ولا عهد لـــــه بالشــبع، أَوَ أبيــتُ مبطانــاً[٣] وحــولي بطـــون غرثى[٤] وأكبـــادٌ حــرّى، أو أكــون كما قال القــائل:

وحســبُك داءً[٥] أن تبيــتَ ببطنــةٍ
وحولك أكبـــادٌ تحــنُّ إلى القــدّ

أأقنع من نفســي بــأن يُقــال: هــذا أمــير المؤمنــين، ولا أشــاركهم في مكــاره الدهــر، أو أكــون أســوةً

---

(١) منطقتان في شبه الجزيرة العربية.
(٢) أي: لعلّ في بلاد المسلمين أو في الأطراف من اعتاد الجوع.
(٣) المبطان: من لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل.
(٤) غرثى: جائعة.
(٥) وفي نسخة أخرى (عاراً).

لهم في جشوبة[1] العيش. فما خُلِقْتُ لِيَشْغَلَني أكلُ الطيِّبات كالبهيمة المربوطة همُّها علفها، أو المُرْسَلَة شغلها تَقَمُّمها[2]، تكترش[3] من أعلافها، وتلهو عما يُراد بها، أو أُترك سدىً، أو أُهْمَل عابثاً، أو أجُرَّ حبل الضلالة، أو أعتسفَ طريق المتاهة[4].

المدرسة الأموية:

إن المبادئ الإسلامية المتمثلة بمدرسة أهل البيت لا يمكن أن يجعلها معاوية مسلكاً له، إنها تقف بوجه كل نزواته ورغباته.

---

(١) الجشب: الخشن.

(٢) تقممها: أكل البهيمة ما بين يديها بشفتيها.

(٣) تكترش: تملأ كرشها.

(٤) أي السلوك في طريق غير واضح متحيراً.

وإنه اليوم حاكم.

وقرر أن ينشئ مدرسة أخرى، معالمها تناقض معالم مدرسة أهل البيت، وعناصرها تناقض عناصرها، بحيث تجعل الإسلام ديناً يخدم مصالح وأهواء ونزوات بني أميّة.

إن بيده المال والسلطة، يستطيع أن يشتري بهما ضمائر الشعراء والخطباء والقصّاصين، أي جميع وسائل إعلام ذلك العصر، بل يستطيع أن يشتري حتى ضمائر بعض الفقهاء أو المحدِّثين.

ولمعت برأسه هذه الفكرة الخطيرة، التي تحتاج إلى تفكير ودهاء.

وقرَّر أن ينشئ مدرسة تواجه مدرسة أهل البيت، إنها المدرسة الأموية، يعطيها لباس الإسلام، لتصبح المدرسةُ الأموية هي المدرسة الإسلاميةُ، وليذهب إسلام محمد (صلّى الله عليه وآله)، ويستبدله بإسلام آخر، إنه إسلام بني أميّة.

وبهذا يرتاح من مقارعة الدين والمتدينين له؛

إنه يواجه الدين بالدين.

معالم المدرسة الأموية

تحريم مقاومة الظلم:

وذلك بضرورة طاعة الحاكم ولو كان ظالما فاسقا، واعتبار الوقوف في وجه ظلمه من المحرمات الشرعية.

ونتيجة هذا التوجيه، أن يصبح حكام بني أمية واجبي الطاعة، ولا يجوز شرعا أن يقال لهم "لا" على أي منكر يقومون به، بل يجب طأطأة الرؤوس لهم حتى لو ظلموا الناس واغتصبوا أموالهم، وصرفوها في ملذاتهم، يعيشون حالة الترف والإسراف والتبذير بينما يعيش الناس حالة الإملاق والفقر، وحتى لو سفكوا الدماء وداسوا الكرامات وملأوا السجون بالأحرار.

تعليق:

هل يمكن لفكر كهذا الفكر أن يكون دينا سماويا، وأن يلقى انتشارا، وقد قال الله عز وجل عن رسوله الكريم النبي محمد (صلى الله عليه وآله):

﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾[1].

هل الركون إلى الظالمين ووجوب طاعتهم يمكن أن يقبل به إنسان في الدنيا؟!

العمود الفقري للفكر الإسلامي:

إن كل مَنْ قرأ القرآن وأحاديث الرسول (صلّى الله عليه وآله) وآثار أهل البيت النبوي (عليه السلام)، يجد رفض الظلم بشتى أنواعه هو العمود الفقري للدين.

رفض الظلم يجري في دماء البشر:

إن النفس البشرية تأبى الظلم بكل أنواعه، سواء كان من الدولة للدولة، أم من المجتمع للمجتمع، أم من الفرد للمجتمع، أم من الدولة للفرد، أم من المجتمع للفرد، أم من الفرد للفرد، وسواء كان ظلماً

---

(١) سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

اقتصادياً، مادياً، معنوياً، بدنياً، نفسياً، اجتماعياً، وبعبارة أخرى في كل مناحي الحياة.

التصدي للظلم من طبيعة البشر:

والنفس البشرية تطلب من كل مظلوم أن يتصدى لظالمه بشتى أنواع التصدي، فيعدّ العدّة له، ويحاول أن ينصف نفسه منه، ولذا وصف الناس (بأكملهم، منذ آدم (عليه السلام) إلى يومنا هذا، وفي كل أصقاع المعمورة، وحتى الذين لم يسمعوا بدين ولا نبي) الذي يُقتل دفاعاً عن حقّه، عن نفسه، عن ماله، عن عرضه، عن أرضه، أنه عظيم، مادحين له، معتبرين إياه من أنبل بني البشر، ويقيمون له النصب التذكارية تقديراً لتصدّيه للظالم دفاعاً عن المظلوم.

الفطرة البشرية:

إنها الفطرة البشرية،

﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾[1].

---

(١) سورة الروم، آية ٣٠.

في قلب كل منّا ضمير يحكم في أعماقنا: إن العدل حسن، وإن الظلم قبيح، وإن التصدّي للظلم واجب إنسانيّ.

تأكيد الإسلام لهذه الفطرة:

ولّما كان الإسلام دين الفطرة، أي دين يوافق طبيعة البشر، ويتناسب مع خلقتهم، أكّد على مسألة وجوب رفض الظلم وذمّه.

القرآن:

ـ ذمّ الظلم:

ورد أكثر من أربعمائة آية قرآنية في ذمّ الظلم ولزوم الابتعاد عنه، والتوعد عليه بالنار والعقاب.

ـ وجوب التصدّي للظالمين:

كما حثّ القرآن على عدم الاستسلام وعدم الخضوع للظالمين، قال الله تعالى:

ويقول جلّ شأنه:

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تُنصرون﴾(١).

﴿أُذنَ للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وأن الله على نصرهم لقدير ۞ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربّنا الله﴾(٢).

وقد ورد في كتاب "دعائم الإسلام" للقاضي النعمان المصري أنه قيل للإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام):

إن الناس يقولون إنها نزلت في المهاجرين الذين أُخرجوا من مكّة لقوله تعالى بعقب ذلك:

---

(١) سورة هود، آية ١١٣.

(٢) سورة الحج، آية ٣٩.

﴿الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربّنا الله﴾.

قال: (أي الإمام الصادق (عليه السلام)): هي في أولئك وفي جميع مَنْ كان في مثل حالهم ممن ذكرناه، ولو كانت فيهم خاصة لم يكن يؤذن في الجهاد لغيرهم[1][2].

ويقول تعالى أيضاً:

﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾[3].

ويقول تعالى أيضاً:

---

(١) دعائم الإسلام، ج١، ص٣٧٥.

(٢) وفي هذا إشارة إلى القاعدة المشهورة في تفسير القرآن من أنّ المورد لا يخصص الوارد.

(٣) سورة النساء، آية ٧٥.

﴿قالوا فيم كنتم؟ قالوا كنّا مستضعفين في الأرض. قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾[1].

وواضح فيها عدم قبول الله تعالى الضيم والهوان للمؤمن.

ويقول تعالى أيضاً:

﴿ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾[2].

السنّة الشريفة:

والأحاديث كثيرة جداً في ذمّ الظلم، وفي التصدّي له؛ فقد ورد عن النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله):

أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر[3].

---

(١) سورة النساء، آية ٩٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٤.

(٣) وسائل الشيعة، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب الثاني، الحديث الأول.

وورد عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أيضاً:

مـن قُتـل دون مظلمتـه فهو شـهيد[1].

وأحاديث أخرى كثيرة جداً لا مجال لذكرها، فليراجع من أرادها.

المدرسة الإسلامية:

إن العمود الفقري للمدرسة الإسلامية وللفكر الإسلامي هو رفـع الظلم وقتاله والتصدي له، فكان العدل من صفات الله ومأمور به:

﴿اعدلوا هو أقـرب للتقـوى﴾[2].

بل وجعله الله جلّ شأنه أوّل ما ينبغي على العبد الامتثال له:

﴿إنّ الله يـأمر بـالعدل والإحسـان...﴾[3].

---

(١) وسائل الشيعة، كتاب الجهاد، الجزء ١١، الباب ٤٦ من أبواب جهاد العدو وما يناسبه، الحديث الثاني، طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٢) المائدة، الآية ٨.

(٣) النحل، الآية ٩٠.

وجعل العبادات تطهيراً للإنسان، فأمر بالصلاة:

﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾[١].

والظلم أشدّ المنكرات، وأمر بالزكاة لكي لا يكون المال دُولةً بين الأغنياء (كما هو التعبير القرآني) ، بل جعل في أموال الناس حقاً معلوماً للسائل والمحروم، فلا يترف غني في الوقت الذي يجوع فيه فقير[٢]، بل يأخذ كل إنسان حاجته بما يضمن كرامته.

بل التشريعات الإسلامية في المعاملات لاحظت هذه الجهة، جهة عدم الظلم، فجعلت المعاملات تمنع ظلم جانب لحساب جانب آخر، فقال تعالى:

---

(١) العنكبوت، الآية ٤٥.

(٢) في سورة الحشر، آية ٧: **﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دُولَةً بين الأغنياء منكم...﴾**.

﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاّ أن تكون تجارة عن تراضٍ﴾[١].

. وحرّم الغصب والاعتداء:

﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾[٢].

أي يجازيه جزاء اعتدائه بمثل ما اعتدى به من دون زيادة، كي لا ينقلب المظلوم ظالماً، والآية تشرّع جواز التصدّي للظلم.

وحرّم الله الربا:

﴿وأحلّ الله البيع وحرّم الربا﴾[٣].

(١) النساء، الآية ٢٩.

(٢) البقرة، الآية ١٩٤.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٧٥.

لأن الربا يعتمد بشكل أساسي على أهمية وأصالة رأس المال على حساب الطرف الآخر، وهو اليد العاملة (أي المقترِض) وبالنتيجة تقديم وتفضيل صاحب رأس المال على العامل المقترِض، ولذا لا يجوز في الربا أن يخسر صاحب المال في أية حالة، بل الربح دائماً في جانبه والخسارة (إن كانت) يتحمّلها المقترِض دائماً.

وبعبارة أخرى، الربح في المعاملات الربوية دوماً في جانب، والخسارة (إن حصلت) فيها دائماً في الجانب الآخر.

أليست هذه المعادلة ظالمة؟! أوليست تؤدي إلى أن ينهش وحش المال فريسته مستغلاً حاجته إلى المال؟! أوليس الربا هو الوسيلة الفضلى في أيامنا هذه لامتصاص أموال الشعوب، فليس الأفراد فقط عرضة للربا، بل الدول أيضاً، نجد تسلّط دولة على أخرى، فتنهش اقتصادها بعنوان الفوائد المترتبة على الديون، ومن الأمثلة على ذلك البرازيل، وهي من أغنى بلاد العالم من حيث الموارد، ترزح تحت ثقل الديون وفوائدها، حتى أن الناتج القومي يكاد لا يفي بالفوائد، عدا عن أصل الدين. وبالربا أصبح ٣٨٧

شخصاً فقط يملكون نصف ثروة العالم، والست مليارات الآخرون يملكون النصف الباقي، وسمّي اليهود في أيام العصر الروماني بإسفنجة الدولة، لأنهم الوحيدون الذين سمح لهم بالتعامل بالربا.

ولا نريد أن نغوص ونتوسع أكثر، ولكن من الواضح جداً أن الإسلام يرفض الظلم، عقيدة وتشريعاً ومسلكاً. بل هو جوهر الدين وروح الشريعة، وبها أصبح الإسلام رحمةً للعالمين:

﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾[1].

حتى أنه قيل إنّ الحاكم الكافر العادل خير من الحاكم المسلم الظالم، وأنه قد يدوم الكفر ولا يدوم الظلم.

لقد انتشر الإسلام في كل الأرض بهذه الروحية، واستقبل العالم الدين الجديد ليكون خلاص الإنسانية على يديه.

: الأنساء، الآية ١٠٧.

موقف معاوية:

وإذا كان رفض الظلم هو العمود الفقري للدين الإسلامي، فكيف يمكن لمعاوية أن يتعايش معه، ويحكم المسلمين باسم خليفة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، والحال أنه يريد أن يعيش كما يحلو له، وكما تملي عليه أهواؤه ورغباته ونزواته ونزوات بني أميّة؟!

كان الحلّ عنده (كما ذكرنا سابقاً) هو في تحريف الدين، وضرب العمود الفقري له، لتصبح طاعة الظالمين واجبة شرعاً، والخضوع للحاكم الظالم عبادة، واعتراضه معصية؛ وبذلك يلبس الظلم الأموي لباس الدين، وينحرف الفكر الإسلامي العظيم ليصبح وسيلة لقمع الشعوب، بعد أن كان رحمة لها، وليذهب كل جهاد الرسول الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله) في سبيل المستضعفين، ونداءات القرآن لإنقاذهم لتذهب هباءً منثوراً، وكأن الرسول أرسلهُ الله فقط وجاهد فقط ليتسلّط بنو أميَّة على رقاب الناس، ولتصبح طاعتهم (على ظلمهم وفسقهم) من طاعة الله، وهذا ما لم يسبقه عليه سلطان في تاريخ البشرية.

وسائل نشر فكرة تشريع الخضوع للحاكم الظالم:

أ. اختراع الأحاديث.

ب. اختراع المذاهب أو استغلالها

- مذهب الإرجاء.
- مذهب الجبر.

ج. الشعراء.

د. الوعّاظ والخطباء.

هـ. كبت الأمويين وقمع الحريا

وسائل نشر فكرة تشريع الخضوع للحاكم الظالم

اتبع الأمويون طرقا وأساليب عديدة منها:

أ. اختراع الأحاديث:

اختراع الأحاديث على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وجوب طاعة الحاكم الظالم مهما ظلم. وإليك هذا الحديث عن أم سلمة عن النبي (صلى الله عليه وآله):

قال: إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع؛ قالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، الجزء الأول في تفسير سورة البقرة، الآية ٣٠.

أي من كره بقلبه وأنكر بقلبه، أخرجه أيضاً مسلم.

والمعنى: إذا فعل الأمير المنكر، فأنكر بقلبك، وأما قتال هذا الأمير فغير جائز، ما دام يصلّي، حتى لو ظلم وفسق وفجر وانتهك الأعراض والحرمات.

إذن، وبحسب هذا الحديث، نحن منهيون عن قتال هؤلاء الأمراء رغم بطشهم وظلمهم واغتصابهم أموال الناس وانتهاك أعراضهم! لماذا؟ لأنهم يصلّون؛ لمجرد الصلاة!!!

وغريب هذا الحديث، أليست الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر؟ أليس هذا الحديث يناقض القرآن:

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار﴾[1].

سواء كان الظالم مسلماً أم كافراً، فإن الآية مطلقة.

---

(١) هود، الآية ١١٣.

إنّ هذا الحديث مناقض تماماً لجوهر الدين الإسلامي وروح التشريع فيه، بل هو منافٍ للفطرة البشرية، هو مناقض للقرآن الكريم.

وفي حديث آخر عن حذيفة بن اليمان قال:

قلت يا رسول الله، إنّا كنّا بشرٍّ فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرّ؟ قال: نعم، قلت: وهل وراء هذا الشرّ خير؟ قال: نعم. قلت: فهل وراء ذلك الخير شرّ؟ قال: نعم. قلت: كيف يكون؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنّون بسنّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس. قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟

قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع[1].

ومن الواضح أن هذا الحديث مخترع مكذوب على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لأنه كما قال الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام):

خطب النبي (صلى الله عليه وآله) بمنى فقال: أيها الناس ما جاءكم مني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله[2].

---

(١) صحيح مسلم، ج٦، ص٢٠، طبعة دار الخلافة العلية، الطبعة الأولى في المطبعة العامرة ١٣٣٢. ومن أراد المزيد فلينظر في صحيح مسلم باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، ص٢٠ و٢١ من نفس المصدر، وسنن البيهقي وغيرهما.

(٢) وسائل الشيعة، جزء ١٨، باب ٩ من أبواب صفات القاضي، حديث ١٥.

زخـــرف، بـــاطل، اضـــــرب بــــه
عرض الجــــدار[١].

كل حديث يخالف القرآن فهو حديث كاذب، وقـــد ذم القـــرآن الكريم هؤلاء:

﴿فمن أظلـــم ممـــن افـــترى علـــى الله
كذبا ليضل الناس بغـــير علـــم﴾[٢].
﴿ويقولون هـــو مـــن عنـــد الله ومـــا
هو مـــن عنـــد الله ويقولـــون علـــى
الله الكذب وهـــم يعلمـــون﴾[٣].

ويصف حالهم يوم القيامة:

﴿ويوم القيامة تـــرى الذيـــن كذبـــوا
على الله وجوهـــهم مســـودة﴾[٤].

---

(١) أوصاف للحديث الموضوع المختلق وردت في نفس الباب وفي كتب الحديث.
(٢) الأنعام، الآية ١٤٤.
(٣) آل عمران، الآية ٧٨.
(٤) الزمر، الآية ٦٠.

ومن كلام لسيد البلغاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام):

وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرف عن مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر، فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته، فالكتاب يومئذ وأهله طريدان منفيان، وصاحبان مصطحبان، في طريق

واحد لا يؤويها مؤو، فالكتاب
وأهله في ذلك الزمان في الناس
وليسا فيهم، ومعهم وليسا
معهم، لأن الضلالة لا توافق
الهدى وإن اجتمعا.

فاجتمع القوم على الفرقة،
وافترقوا عن الجماعة، كأنهم
أئمة الكتاب، وليس الكتاب
إمامهم، فلم يبق عندهم منه إلا
اسمه، ولا يعرفون إلا خطه
وزبره[١]، ومن قبل ما مثلوا
بالصالحين كل مثلة، وسموا
صدقهم على الله مزية، وجعلوا
في الحسنة عقوبة السيئة...[٢].

---

(١) أي كتابته.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٤٧.

وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما مضمونه بأنه سيكثر من بعده الكذابة والوضاعون، أي الكذابون الذين يخترعون الأحاديث على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وينسبونها إليه، والرسول منها براء. وفسر الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) الحائك، الملعون على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله:

إنما ذلك الذي يحوك الكذب على الله ورسوله[1].

ولقد كذب على رسول الله في حياته، فكيف بعد وفاته، يقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام):

وقد كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عهده حتى قام خطيبا، فقال: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار". وإنما أتاك

---

(١) الكافي، ج٢، ص٢٤٠.

بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان، متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولايتحرج، يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمدا، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه، ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا: صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) رآه وسمع منه ولقف عنه، فيأخذون بقوله. وقد أخبرك الله عن المنافقين فيما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده، فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار

بالزور والبهتان، فولوهم الأعمال وجعلوهم حكاما على رقاب الناس، فأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة...[1].

والغاية من وضع الأحاديث، غاية دنيئة حقيرة تخدم المصالح والأهواء.

الغاية من وضع حديث أم سلمة وأمثاله:

وواضح جدا لمن يقرأ هذا الحديث أن الغاية من وضعه (أي اختراعه) وأمثاله عن أم سلمة (رض) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، هي إخضاع الناس للأمير الظالم باسم رسول الله (صلى الله

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٣. وفي شرح النهج لابن أبي الحديد، ج١١، ص٣٨، طبعة دار إحياء التراث العربي.

عليه وآله)، فلا يجوز قتاله طالما هو يصلي، حتى لو شرب الخمور، ونهب الأموال، وقتل النفس المحرمة!

فمثل يزيد بن معاوية (بحسب هذا الحديث) لا يجوز قتاله، رغم أنه يشرب الخمر المحرم في الإسلام، ويقتل النفس المحرمة، يستبيح المدينة المنورة، ويطلق العنان لجيشه في انتهاك نساء أهل المدينة المنورة (مدينة الرسول والأنصار) واغتصاب نسائهم، وسرقة أموالهم، وهدم بيوتهم، وإجبار أهلها على بيعة يزيد على أنهم أرقاء وعبيد له، وذلك بعد وقعة الحرة، كما ذكر أهل التاريخ. ورغم أنه هدم الكعبة المشرفة بالمنجنيق، ورغم، ورغم، ورغم...، ومع ذلك كله لا يجوز التصدي له! لماذا؟ لأنه يصلي!!

غريب هذا الحديث المكذوب على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وغيره، وغيره من الأحاديث الموضوعة المخترعة، التي استعملت لتدعيم حكم الظالمين، من بني أمية وغيرهم، ولتطويع الناس لظلمهم، لقد فرغت الإسلام من محتواه، وجردته من روحه، ليصبح مجرد وسيلة للتسلط.

إنها الجريمة الكبرى التي لم يسبق معاوية عليها أحد قط في العالمين.

وأثرت هذه التربية، فأطاع الناس حكامهم في كل ما يهوون وما يشتهون، حتى في قتل النفوس.

كما أثرت هذه الأحاديث في فتاوى الفقهاء، باختصار ننقل كلمة الباقلاني[1] في التمهيد:

قال الجمهور من أهل الإثبات[2] وأصحاب الحديث: "لا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبشار[3]، وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود"، ولا يجب وعظه وتخويفه وترك طاعته في شيء مما يدعو إليه من

---

(١) من كبار الفقهاء والأصوليين من أبناء العامة.

(٢) أي التثبت والحجة، والجمهور أي المعظم.

(٣) الأبشار، جمع بشر.

معـــاصي الله، واحتجّـــوا في ذلـــــك بأخبار كثيرة متضــــافرة عـــن النـــبي (صلّـــى الله عليـــه وآلـــه) وعــــــن الصحابـــــة في وجــــوب طاعــــــة الأئمـــة وإن جـــــاروا واســـــتأثروا بــــالأموال...[1].

ومن أساليب نشر هذه الفكرة:

ب. اختراع المذاهب واستغلالها:

المذاهب المسكّنة والمخدِّرة للناس، نذكر منها: الإرجاء والجبر:

ـــ الإرجاء:

هو مذهب عقائدي يعتمد بشكل أساسي على إلغاء أهمية العمـــــل، وبالنتيجة تبرير كل المعاصي.

---

(١) الغدير، للشيخ الأميني، ج٧، ص١٥٨، ناقلاً عن التمهيد للباقلاني، ص١٨٦.

منشأ كلمة الإرجاء:

اختلف في سبب تسمية القائلين بالإرجاء بالمرجئة، فبعضهم أرجعها إلى الاشتقاق من الإرجاء بمعنى التأخير كما في قوله تعالى:

﴿قالوا أرجه وأخاه﴾[١]،

أي إمهله وأخره. وذلك لأنهم يؤخرون العمل عن الإيمان، أي يقولون، إن الإيمان إنما هو معرفة بالقلب وتصديق باللسان، ولا يضر مع الإيمان معصية. أو لأنهم أرجأوا الحكم في مرتكب الكبيرة إلى الله تعالى كما في قوله:

﴿وآخرون مرجون لأمر الله﴾[٢].

أو هو مشتق من الرجاء بمعنى الثواب لأهل المعاصي لقولهم: "لا تضر مع الإيمان معصية"[٣].

---

(١) الأعراف، الآية ١١١.

(٢) التوبة، الآية ١٠٠.

(٣) الفرق بين الفرق، ص١٥١، الملل والنحل، الجزء الأول، ص١٢٥.

زمن ظهوره:

واختلف في زمن ظهور الإرجاء، ولكن من الثابت ظهوره بمعناه المشهور في الفصل بين الإيمان والعمل في زمن معاوية بن أبي سفيان وأصحابه، الذي أظهر الاعتقاد بأن الإيمان لا يضر معه ذنب ومعصية، فتمادى في المعاصي غير مكترث بشيء. ففي شرح النهج[1]:

أول من قال بالإرجاء المحض معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، كانا يزعمان أنه لا يضر مع الإيمان معصية، ولذلك قال معاوية لمن قال له: حاربت من تعلم[2]، وارتكبت ما تعلم؟!

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج٦، ص١٩٨.

(٢) أي علي بن أبي طالب وكبار الصحابة ممن شهدوا وقعة بدر.

فقـــال: وثقـــت بقولـــه تعـــالى: ﴿إن الله يغفر الذنـــوب جميعـــا﴾[١][٢].

الغاية من الإرجاء:

وإنما قالوا بالإرجاء ونشروه بين الناس ليسوغوا للسلطة عبثها بأحكام الدين، ولعبها بكتاب الله وسنة نبيه، واســتباحتها لحرمــات المؤمنــين، واستبدادها بحقوقهم، فهم مع ذلك كله مؤمنون لا يضر بإيمانهم شــيء، ولا ينقص من إيمانهم عمل، وليس أحد في هذه الأمة أزيد منهم إيمانا.

وأصبح هذا القول في ظل السلطان الداعم له، عقيدة، لهــا رجــال تبنوها، ودافعوا عنها، كان أبرزهم: يونس بن عوف النميري، وغســان الكوفي، وأبو ثوبان المرجيء، وبشر المريسي[٣].

---

(١) الزمر، الآية ٥٣.

(٢) وهذا ما نراه عند كثير من أهل عصرنا عندما يستنكر على العاصي، لم تعص الله ولــم تفعل المحرمات؟ فيجيبك بأن الإيمان في القلب، والذنوب التي يرتكبها لا تضر مع وجــود هذا الإيمان! وكأن العمل لم يعد مهما، وبهذا الفكر ينتشر الفساد في الأرض، وتصبح ديار الإسلام ديار ظلم وخراب ومعاص ، مما أدى إلى انهيارها، مع انهيــار العمــل بأركــان الإسلام وبجوهره وروحه.

(٣) الفرق بين الفرق، ص ١٥١إلى ١٥٣، والملل والنحل، الجــزء الأول، ص١٢٥ــ١٢٨، وللتوسع انظر كتاب بحوث في الملل والنحل للشيخ جعفر سبحاني.

وغريب هذا الكلام، وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا نزلت الأحكام في الحدود والقصاص والديّات، ولماذا شرَّع حدّ القتل والقذف والزنى والسرقة، ولماذا شُرِّع تأديب فاعل المنكرات، ولماذا ورد التهديد بالنار والوعيد بجهنم على مرتكب الكبائر. نعم، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولكن بعد التوبة، فقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

التائب من الذنب كمن لا ذنب له[1].

أمّا المصرّ على المعاصي والمنكرات والمحرَّمات فجزاؤه جهنّم.

أثر مذهب الإرجاء:

لقد ركّز مذهب الإرجاء الفكرة التي روَّج لها بنو أميّة من أنه لا يجوز قتال الظالمين، بل ولا معارضتهم، فإنهم في الظاهر مسلمون،

(١) المحجّة البيضاء، ج٧، ص٧، طبع الأعلمي، بيروت، نقلاً عن ابن ماجة، تحت رقم ٤٢٥٠.

والمحرَّمات التي يرتكبونها من ظلم الناس والتسلّط على الأموال، وانتهاك الأعراض، لا تجوِّز الوقوف بوجههم لمنعهم عن ممارساتهم الرديئة، لماذا؟ لأنهم مؤمنون، ولا يضرّ مع الإيمان معصية مهما كانت تلك المعصية!

وأنّى لنا بمعرفة ما تكنُّه القلوب من إيمان أو غيره، وحينئذٍ يتظاهر الحاكم بالإيمان، ويفعل كل ما يحلو له، وهذا ما نراه في عصرنا الحاضر حيث يتظاهر الحاكم بالإيمان، ويتمظهر ببعض الشكليات، رياءً وغشاً لشعبه، فالمهم أن يحكم، ثم يفعل ما يشاء.

الإرجاء ثبّت حكم بني أميّة:

وبواسطة هذا المذهب أصبح حكّام بني أميَّة في نظر الناس من أهل الجنّة، رغم كل شناعاتهم وفظائعهم، ولا يجوز لأحد حسابهم لأنهم مؤمنون، فإنه لا يضرّ مع الإيمان معصية، وحينئذٍ لا يجوز اعتراضهم مهما فعلوا!!

وهكذا انقلب الإسلام من دين جاء رحمة للإنسانية إلى دين هدفه تطويع الناس لحكّامهم، ولو كان الحكّام فَسَقَةً ظَلَمَةً من بني أميّة أو من غيرهم.

لقد خُدِّر الناس، وأصبح معاوية يحكم الناس عقائدياً بالإضافة إلى حكمهم بالقوة العسكرية.

ـ الجبر:

وملخصه أنّ الله تعالى خالق الأفعال ومريدها، وليس للناس الخِيَرَة من أمرهم، فالعبد عندما يفعل المحرَّمات يكون الله قد أراد ذلك، وبذلك يكون الإنسان مسلوب الاختيار، ومع ذلك يحاسبه الله عزّ وجل!!!

النتيجة:

لّما أصبحت كل الأفعال بما فيها المحرَّمات هي بإرادة الله، لم يَعُد المكلّف مسؤولاً عن فعله، بل الله، ولذا لا يجوز إنكار المنكر، ولا يجوز الاستنكار على الحاكم، لأن الحاكم عندما يظلم ويغتصب أموال الناس، ويسفك الدماء المحرَّمة، إنما يفعل كل ذلك بإرادة الله، فالاستنكار عليه استنكار على الله، ورفض ظلمه معصية لله، والخروج عن طاعة الحاكم الظالم خروج عن طاعة الله.

وبهذا ينقلب الإسلام من دين يفتح العالم رحمة للعالمين، إلى دين يطوع الناس لظلم الحاكم، فأصبح لا يجوز في صلب العقيدة الإسلامية معصية الظالم، ورفض ظلمه ومقارعته، واعتراض تجاوزاته على رقاب الناس!!

لقد جعلوا الناس ينسون الآيات الكثيرة الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾[1].

ينسون الأحاديث الشريفة الكثيرة الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليه السلام) في ذلك، لقد نسوا قول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله):

من رأى منكم منكرا فلينكره بيده إن استطاع، فإن لم يستطع

---

(١) سورة آل عمران، آية ١١٠.

فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنه لذلك كاره[1].

هذا بالإضافة إلى النتائج الاجتماعية الخطيرة التي تنتجها الجبرية، إنها تؤدي إلى انتشار الفساد، واستفحال الظلم، وشياع المنكرات والمحرمات، لأن الإنسان يعتبر نفسه غير مسؤول عن الشيء، وحينئذ، لماذا العمل والجهاد والعبادة وفعل الخيرات؟!

استغلال الأمويين لمسألة القدر:

اتخذ الأمويون مسألة القدر أداة تبريرية لأعمالهم السيئة، وكانوا ينسبون وضعهم الراهن بما هو فيه من شتى ضروب العبث والفساد إلى القدر. قال أبو هلال العسكري:

إن معاوية أول من زعم أن الله يريد أفعال العباد كلها[2].

---

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ب٣ من أبواب الأمر والنهي.

(٢) الملل والنحل للشيخ جعفر السبحاني، ج١، ص٢٤٠، ناقلا عن الأوائل، ج٢، ص١٢٥.

وعن القاضي عبد الجبار عن الشيخ أبي الجبائي أنه قال:

إن أول من قال بالجبر وأظهره معاوية، وإنه أظهر أن ما يأتيه بقضاء الله ومن خلقه، عذرا فيما يأتيه، ويوهم أنه معيب، وأن الله جعله إماما وولاه الأمر، وفشا ذلك في ملوك بني أمية[١].

ولأجل ذلك، عندما سألت أم المؤمنين عائشة معاوية عن سبب تنصيبه ولده يزيد خليفة على رقاب المسلمين، وهو يعلم أن يزيد شارب للخمور، مرتكب للفجور، ملعب القردة، طائش، عاص، ظالم، فاجر، يشتمل على كثير من الصفات المشينة، أجاها:

---

(١) عن الملل والنحل، للشيخ جعفر السبحاني، ج١، ص٢٦١.

إن أمر يزيد قضاء من القضاء، وليس للعباد الخيرة من أمرهم[1].

وبهذا أيضا أجاب معاوية عبد الله بن عمر عندما استفسر من معاوية عن سبب تنصيبه يزيد خليفة، ومتسلطا على الناس بقوله:

إني أحذرك أن تشق عصا المسلمين، وتسعى في تفريق ملئهم، وأن تسفك دماءهم، وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء، وليس للعباد خيرة من أمرهم[2].

نذكر هنا كأمثلة مقالات رؤوس من نفذ مذبحة كربلاء، كمقالة سعد بن أبي وقاص قائد الجيش الذي قتل الحسين بن علي (عليه السلام)،

---

(١) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة، ج١، ص٢٠٥.

(٢) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة، ج١، ص٢١٠.

ومقالة شمر بن ذي الجوشن الذي ذبح الحسين (عليه السلام) بيده، ومقالة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، الخليفة الأموي الذي أمر بقتل الحسين (عليه السلام)، ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة، ومقالة عبيد الله بن زياد، أمير الكوفة من قِبَل يزيد:

مقالة عمر بن سعد:

روى أبو مخنف:

... ثم إن ابن زياد نادى: معاشر العرب، مَنْ يأتيني برأس الحسين وله عندي ولاية الريّ عشر سنين، فقام إليه عمر بن سعد، وقال: أنا أيها الأمير، فقال له: أنت، امضِ وضيّق عليه المسالك وامنعه من شرب الماء، وأتني برأسه؛ فقال: سمعاً وطاعة. ثم عقد له راية على

ستة آلاف فارس، وأمر بالمسير إلى الحسين؛ فخرج من عند ابن زياد ودخل منزله، فدخل عليه المهاجرون والأنصار وقالوا له: تخرج لحرب الحسين وأبوك سادس الإسلام؟! فقال: لست أفعل ذلك؛ وجعل يفكّر في ملك الريّ وحرب الحسين (عليه السلام)؛ فاختار ملك الري، وأنشأ يقول:

والله ما أدري وإنّي لحائرٌ
أفكّر في أمري على خطرين
أأترك ملك الريّ والريّ مُنْيَتي
أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
حسين ابن عمّي والحوادث جمّة
ولكن ملك الريّ قُرّة عيني

وأنَّ إله العرش يغفر زلَّـــتي

ولو كنتُ فيـــها أظلـــم الثقلـــين

ألا إنما الدنيا بخير معجـــل

وما عاقل بـــاع الوجـــود بديـــن

يقولون أنّ الله خالق جنّـــة

ونـــارٍ وتعذيـــب وغـــلّ يديـــن

فإن صدقوا في ما يقولون إنـــني

أتوب إلى الرحمن توبـــة مـــين[1]

وإن كذبوا فزنا بريّ عظيمـــة

وملك عظيم دائم الحجلـــين[2][3]

وبعد قتل الحسين (عليه السلام) اعترضه عبد الله بن مطيـــع العـــدوي بقوله:

---

(١) المين: الكذب.

(٢) الحَجَلة: بيت مزيَّن بالأثاث، والحَجَل أن يرفع رجلاً ويقفز على الأخرى من الفرح.

(٣) أسرار الشهادات للدربندي، ج٢، ص١٧٦، طبع شركة المصطفى للخدمات الثقافية.

اخترت همدان والري على قتل ابن عمك؟! فقال عمر: كانت أمور قضيت من السماء، وقد أعذرت إلى ابن عمي قبل الوقعة، فأبى إلاّ ما أبى[١].

وبهذه الكلمات برّر عمر بن سعد قتله للحسين (عليه السلام)، وكان قائداً للجيش، وتأمل ما أخطر هذا الفكر الذي جعلوه من صلب العقيدة الإسلامية، لقد استطاعوا مسخ الإسلام وجعله مجرد أداة لتبرير أفعال الحاكم الشنيعة.

بل مسخوا الإنسان بعد أن سلبوا حريته منه، وسيأتي شرح هذه النقطة.

مقالة شمر بن ذي الجوشن:

شمر بن ذي الجوشن كان أحد قوّاد الجيش الذي قتل الحسين (عليه السلام)، وهو الذي أجهز عليه وذبحه بيده. وقد نقل الأميني، صاحب

---

(١) طبقات ابن سعد، ج٥، ص١١٣، دار الكتب العلمية.

كتاب "الغدير" أن شمر بن ذي الجوشن كان يدعو الله تعالى في المسجد ويقول:

اللهم إنك شريف تحبّ الشرف، وإنك تعلم أني شريف فاغفر لي. قلت[1] كيف يغفر الله لك، وقد أعنتَ على قتل ابن رسول الله؟ قال: ويحك، فكيف نصنع؟ إن أمراءنا هؤلاء أمرونا بأمر فلم نخالفهم، ولو خالفناهم كنّا شراً من هذه الحمر الشقاة[2][3].

وفي لفظٍ آخر:

---

(١) والقائل أبو إسحاق الراوي لهذا الخبر.

(٢) الحمر الشقاة: مقصوده: الكفّار الأشقياء.

(٣) الغدير، ج٧، ص١٧٠، نقلاً عن تاريخ ابن عساكر، ج٦، ص٣٣٨، وميزان الاعتدال للذهبي، ج١، ص٤٤٩.

اللهم اغفر لي فإني كريم لم تلدني اللئام. فقلت له: إنك لسيئ الرأي والفكر، تسارع إلى قتل ابن بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وتدعو بهذا الدعاء! فقال: إليك عنّي، فلو كنّا كما تقول أنت وأصحابك لكنّا شراً من الحُمُر في الشعاب.

أي إذا لم نطع الأمراء أصبحنا كالبهائم والدوابّ، ولسنا ببشر كي نكون موضوعاً للتكليف، ولذا يجبُ أن نطيعهم كي نكون أهلاً لعبادة الله عزّ وجل.

تصوروا أن شمراً يذبح الحسين (عليه السلام) بيده، وهو يعلم أنه ابن بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وسيد شباب أهل الجنّة، وأفضل أهل زمانه، نزل القرآن بعصمته، ولا شك أن في قتله غضب الله ورسوله، ومع كل هذا وغيره، لا بدّ وأن يطيع الأمراء والسلاطين

والحكّام حتى في قتل عظيم طاهر مثل الحسين (عليه السلام)، لأن مخالفتهم مخالفة لله وخروج عن الدين!!

لقد نسيَ قول الله جلّ شأنه:

﴿يوم تقلّب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا * وقالوا ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيلا * ربّنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً﴾[1].

بل أي دين يقبل هذا المنطق، وأي عقل؟! لكن الأمويين استطاعوا إدخاله في صميم العقيدة، وشوّهوا الإسلام. إنها المدرسة الأموية التي مسخت دين الله وجعلته عقيدة تخدم مآربهم وأهواءهم بعد أن جاء به محمد (صلّى الله عليه وآله) رحمة للعالمين.

---

(١) الأحزاب، آية ٦٦ــ٦٨.

مقالة عبيد الله بن زياد:

عبيد الله بن زياد بن سمية هو والي الكوفة من قِبَل يزيد، وهو الـذي أرسل الجيش وأمر عمر بن سعد أن يستعجل في قتل الحسين، ولما دخلـوا برأس الحسين (عليه السلام) والسبايا على ابن زياد:

عن حميد بن مسلم قال: إني لقائم عند ابن زياد حين عُرِض عليه عليٌّ بن الحسين، فقال له: ما اسمك؟ قال أنا عليّ بن الحسين؛ قال: أوَلم يقتل الله عليّ بن الحسين؟! فسكت. فقال ابن زياد: ما لك لا تتكلّم؟ قال: قد كان لي أخٌ يقال له أيضاً عليّ فقتله الناس. قال: إن الله قد قتله؛ قال: فسكت عليٌّ؛ فقال له: ما لك لا تتكلّم؟ قال: ﴿الله

يتوفى الأنفس حين موتها﴾[1]، ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾[2]. فاستشاط ابن زياد غيظا... إلى آخر القصة[3].

انظر كيف ركز ابن زياد على أن الله هو الذي قتل عليا بن لحسين، (أي علي الأكبر الذي استشهد في كربلاء) وانظر كيف التفت لإمام زين العابدين (عليه السلام) إلى غرضه، وأنه يريد تثبيت فكرة لإرادة الإلهية في ملك بني أمية، فأجابه:

قد كان لي أخ يقال له أيضا علي فقتله الناس.

١) الزمر: الآية ٤٢.

٢) آل عمران: الآية ٤٥.

٣) تاريخ الطبري، ج٣، ص٣٣٥.

مقالة يزيد بن معاوية:

وانظر إلى يزيد بن معاوية، سلطان المسلمين آنذاك، والجالس على كرسي الخلافة، وقد أَدْخَلوا رأس الحسين (عليه السلام) مخاطباً الناس متمثّلاً الحسين(عليه السلام):

أتدرون من أين أُتيّ هذا؟ (يعني الحسين (عليه السلام)) قال: أبي عليّ خير من أبيه، وأمي خير من أمّه، وجدّي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) خير من جدّه، وأنا خير منه، وأحقّ بهذا الأمر منه.

ثم استمر يزيد مجيباً: فأما قوله: "أبوه خير من أبي"؛ فقد حاجّ أبي أباه وعلم الناس أيهما حكم له؛ وأمّا قوله: "أمّي خير من

أمّه" فلعمري فاطمة ابنة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) خير من أمّي؛ وأمّا قوله "جدّي خير من جدّه"، فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عِدلاً، ولا ندّاً، ولكنه إنما أُتِيَ من قِبَل فقهه، ولم يقرأ: ﴿اللهم مالك الملك تؤتي الملك مَنْ تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ مَنْ تشاء وتذلّ مَنْ تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾[1][2].

انظر إلى كلمة "أُتِيَ من قِبَل فقهه"، لقد جعل يزيد من الفقه مُلْك الملوك، وتسلُّط السلاطين، ونزع عن الحسين (عليه السلام) سيد شباب

---

(١) آل عمران، الآية ٢٦.

(٢) تاريخ الطبري، أحداث سنة ٦١، الجزء٣، ص٣٤٠.

أهل الجنة، والذي تربى في حجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) صفة الفقيه، واعتبر أن قوله تعالى:

﴿يؤتي الملك من يشاء﴾.

اعتبره تمليكا من الله للملوك.

وليت شعري، هل أراد الله تمليك فرعون وهامان والنمرود ونيرون على رقاب الناس، وإذا أراد تمليكهم، فلماذا طلب من الأنبياء كإبراهيم وموسى (عليه السلام) الثورة ضدهم، والصراخ بوجوههم طالبين إحقاق الحق وإنصاف المظلومين؟!

لقد أراد يزيد بقوله هذا إلباس ملكه لباس الإرادة الإلهية، كما سعى أبوه لذلك عندما قال:

إن أمر يزيد قضاء من القضاء،
وليس للعباد الخيرة من أمرهم[1].

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة، ج١، ص٢١٠، طبع قم، مطبعة أمير.

وبهذا لا يجوز اعتراضه، لأن الاعتراض حينئذٍ ضد إرادة الله عزّ وجل، ومعنى ذلك أن اعتراض النبيّ إبراهيم الخليل (عليه السلام) على النمرود كان اعتراضاً على الإرادة الإلهية، واعتراض النبي موسى (عليه السلام) على فرعون كذلك، وهل يعقل ذلك؟! وهل يصدِّق ذو لبّ؟!

لقد استطاع معاوية إدخال هذا المفهوم في صلب العقيدة الإسلامية، مما خدَّر الناس، فركنوا إلى الظالمين بعد أن قال الله تعالى:

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار﴾[1].

الفرق بين المشيئة والإرادة:

ولا بأس (باختصار) بالإشارة إلى معنى المشيئة، والفرق بينها وبين الإرادة لرفع الإلتباس.

ولنمثّل ذلك في رجل رمى بنفسه من مكان شاهق ليقع على الصخور، فإنه يُقتل.

(١) سورة هود، آية ١١٣.

فهل الله قتله، أم هو قتل نفسه؟

إن الله شاء أن كل من رمى بنفسه من شاهق ليقع على جسم صلب فإنه سيتحطم، ولكن لم يُرِد قتله، بل إرادة القتل هي من الرجل الذي رمى بنفسه، ولهذا تُحاسِب الإنسانية منذ فجر التاريخ كل إنسان على أفعاله، خيرها وشرّها، فتقاصص المجرم، وتحكم على الظالم، لأن المرتكز في ذهن كل بشر وفي فطرته أن الإنسان مريد لأفعاله، والوجدان أقوى دليل.

وهنا، مشيئة الله في المُلْك أنّ له مقدّمات ووسائل وطرق من تهيئة قوة إلى عتاد إلى مَكْر إلى اقتناص فرص مثلاً، إلى غير ذلك، فمن سلك هذه الطرق وتوسَّل بهذه الوسائل وصل إلى المُلْك، وأصبح ملكاً، تلك هي مشيئة الله.

فالمشيئة هي القوانين الطبيعية والسنن الكونية، وهي مأخوذة على نحو القضايا الشرطية، مثلاً: "كل مَنْ سار على الدرب وصل"، فالسير على الدرب هو الشرط، والوصول هو الجزاء، وكلُّ مَنْ فَعَل الشرط، وصل إلى الجزاء والنتيجة.

بعكس الإرادة، فهي مبادرة وفعل، وليس قضية شرطية.

ومن هناك يتضح أن الله جل شأنه وتعالت قدرته، لم يرد ملوك الدنيا ملوكا لها، بل شاء أن من ركب الوسائل المقدرة وجعلها وسيلة وصل إلى الملك.

وهذا باختصار شديد وتوضيح بسيط تعرضنا له فقط لرفع الوهم الذي زرعه بنو أمية في الناس.

ج. الشعراء:

وبدأ الشعراء يزرعون الفكر الأموي والمدرسة الأموية، ويروجون لها في أذهان الناس. ونعلم كم للشعر يومئذ من أثر[(١)]، فهم الوسيلة الإعلامية الرئيسية في تلك الأيام، وإذا كان في القبيلة شاعر اعتزت به وافتخرت، وصار لها شأن، وكم أدى الشعر إلى رفعة قوم أو ذلتهم، أو

---

(١) يروى أن بني أنف الناقة كانوا عشيرة من أدون العشائر، ومن أقل الناس قدرا ومستوى على الصعيد الإجتماعي، حتى ظهر فيهم شاعر، فراح يمدحهم:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

فارتفع مستواهم واحترامهم عند العرب؛ فانظر كم كان للشعر من أثر.

أدى إلى تشويه سمعة أو إلى فتنة وقتال، أو حتى تسويق لسلعة أو ترويج لفكرة[١][٢].

---

(١) يقال أن تاجرا جاء إلى الشام ومعه أخمرة ــ جمع خمار وهو قماش تضعه المرأة على رأسها تغطيه ــ يريد أن يبيعها، فباعها جميعا وبقي كمية كبيرة من الأخمرة السوداء لم يشتر أحد منها شيئا، فاحتار بأمره، فرآه أحد الزهاد الحديثي العهد بالنسك والزهد والعبادة، حيث كان قبل ذلك من أهل اللهو والمجون والخلاعة، فأخبره بأمره، فقال له الزاهد: لا عليك، فكان أن عاد الزاهد إلى مجونه، فاستغرب الناس ذلك، فقال:

قل للمليحة في الخمار الأسود ... ماذا فعلت بزاهد متعبد

قد كان شمر للصلاة ثيابه ... حين وقفت له بباب المسجد

ردي عليه صلاته وصيامه ... لا تقتليه بحق دين محمد

إلى أخر القصيدة. فكان أن استلطفت النساء الخمار الأسود، فراج سوقه وبيعت كل الأخمرة السوداء التي كانت مع التاجر، كل ذلك نتيجة بيت من شعر. وهذا ما نراه في أيامنا هذه من الوسائل التسويقية من دور العرض والأزياء وأنواع الدعايات التلفزيونية وغيرها. فانظر كم كان للشعر من تأثير.

(٢) تماما كما نرى في وسائل الإعلام في أيامنا هذه، حيث يصرف على فيلم سينمائي مئات الملايين من الدولارات كي يشوه صورة شخص أو يمدحه، أو يشوه فكر؛ ألا ترى كم في الأفلام السينمائية والتلفزيونية من أثر كبير في تشويه الحقائق، كتشويه نظرة الإسلام للمرأة، وأنه ظلمها، مثل فيلم "أبدا بدون ابنتي" الذي قلب الحقيقة وصور المرأة مضطهدة مظلومة، مع العلم أن الواقع بعكس ذلك، وأن كثيرا من الأفلام العربية أو الأجنبية تركز على تشويه سمعة الإسلام، أو زرع قيم سلبية في الأمة كزرع الأنانية وعدم اكتراث الإنسان إلا بنفسه وعدم معونته للآخرين، وإبعاد الناس عن الله وعن تعاليم الأنبياء وعن =

انظر إلى الشاعر الأخطل التغلبي كيف يمدح بني أمية في قصيدته "خف القطين" فيقول في مدح عبد الملك بن مروان:

إلى أمرئ لا تعدينا نوافله

أظفره الله فليهنأ له الظفر[(١)]

= الغيب، ليزرع مكانها النفسية المادية المحضة، فإنك لا تكاد تسمع بذكر الله ولا اليوم الآخر أصلا في هذه الأفلام، ولذا تجد نسبة الذين يتعاطون الحبوب المهدئة للأعصاب تزداد يوما بعد يوم، ونسبة طلاق النساء تزيد وغير ذلك، ومن أهم الأسباب، بعد الناس عن الله وعن القيم، وعن نقاء الروح.

ذلك أن الإنسان مكون من جسد وروح، فإذا أعطيت حاجات الروح فقط حصلت حالة من الاضطراب وعدم التوازن، وكذلك إذا أعطيت حاجات البدن فقط من أكل وشرب ونوم وجنس وغيرها، حصلت أيضا حالة اضطراب وعدم توازن، وعدم التوازن هذا عند البشر تؤدي إلى اضطرابات وأمراض نفسية وعصبية ينتج ما ذكرنا من حالات الاغتصاب وكثرة الطلاق وتناول المهدئات وغير ذلك، ووسائل الإعلام تتحمل جزءا كبيرا من المسؤولية، ذلك أنها في أيامنا هذه المسؤول الأول عن توجيه الناس وتربيتهم..

(١) لا تعدينا: لا تتجاوزنا. نوافله: عطاياه. والمعنى: وصلت بي ناقتي إلى إنسان لم تفتنا عطاياه، وقد نصره الله على أعدائه، فهنيئا له هذا الظفر. انظر كيف ينشر هذا البيت فكرة أن انتصار الأمويين هو من عند الله، فالله يريدهم ملوكا على الناس، وقلنا سابقا إن النصر بمشيئة الله، أي أن الله شاء أن من يفعل المقدمات ويرتكبها انتصر، كاقتضاء وجود العلة لوجود المعلول، والسبب للمسبب، لا أن الله يريد نصر الظالم الفاجر وتمليكه على رقاب الناس.

الخائض الغمر، والميمون طائره

خليفة الله يستسقى به المطر[1]

أعطاهم الله جدا ينصرون به

لا جد إلا صغير بعد محتقر[2]

انظر إلى هذه الأبيات كيف تعكس هذه الفكرة: إن الخلافة هي من الله لبني أمية؟! وإن النصر منه لهم عطية وهبة! وأنه أراد الملك لهم!

وربما يقال: إن الشعر لا يتبع الأسلوب العلمي في الدقة والتحقيق والتدقيق، فإنه لا ملامة على شاعر.

---

(١) الغمر: الماء الكثير، والخائض الغمر كناية عن الذي يقتحم الشدائد والصعوبات في المعارك، الميمون طائره: كناية عن أن الخير حليفه والحظ السعيد ملازمه، يستسقى به المطر: أي يقدمه الناس أمامهم في صلاة الإستسقاء وذلك عند الجفاف الشديد، وذلك كناية عن إيمانه العميق وصفائه وقربه من الله عز وجل. ومعنى البيت: أن عبد الملك يقتحم الصعوبات ويتغلب عليها والخير والنصر حليفه، وهو خليفة الله على الأرض، وتقبل شفاعته عند الله فيستجيب الله لدعاء الناس. ولاحظ كيف يتضمن هذا البيت نشر فكرة أن الملك من عند الله ـــ بالمعنى الذي ذكرناه في المدرسة الأموية ـــ فطاعته حتى لو ظلم من طاعة الله، وعصيانه من عصيان الله.

(٢) جدا: حظا. والمعنى: أعطاهم الله حظا ـــ والمقصود حقهم الإلهي بالخلافة والملك، فهو إرادة الله وعطيته لبني أمية ـــ وهذا الحظ تضاءلت دونه كل الحظوظ.

ونجيب، صحيح أنه شعر، والشعر بطبيعته لا يعتمد على الدقة، إلا نه يؤثر كثيرا في الناس، فهو يعتمد الأسلوب الخطابي الذي يعتمد إلى حد كبير على اللعب على الأوهام، ولذا يستعمل المحسنات البديعية كالترصيع والجناس والطباق، وغير ذلك مما له أثر في إضفاء حسن أو قبح لى الفكرة أو الشخص، والخطاب لا يعتمد على الأدلة العقلية البراهين، لأنه لا يريد الاستدلال، بل يرمي إلى زرع مفاهيم معينة في لنفوس، مما يؤدي بالتكرار الكثير إلى ترسيخ الفكرة، وجعل الإنسان ينطلق في سلوكه من خلفيتها من دون أن يشعر.

قوة الوهم في سلوك البشر:

إن معظم سلوك الناس لا تقرره عقولهم، بل أوهامهم، وأعطي مثالا على ذلك:

إن أكثر الناس لا يدخلون المقابر ليلا، وذلك لكثرة ما يتخيلونه من شباح وأرواح، رغم أن عقولهم تقول لهم: لا شيء من هذا، بل المقبرة في لليل كالمقبرة في النهار.

والسبب في عدم دخولهم المقابر ليلا أن القوة الواهمة تتغلب عند الإنسان على القوة العاقلة، ولذلك يتحرك المرء بحسب التربية والإعلام والدعايات في كل أمور حياته حتى الشخصية منها، كالطعام واللباس والنظرة إلى الأمور وإلى الشعوب، لأن وسائل الإعلام تعتمد على زرع أفكار بسيطة ساذجة، إلا أنها صلبة وقوية في اللاوعي، بحيث تكون ردود فعل الإنسان الأولى هي من خلالها وبخلفيتها.

ألا ترى أن دور الأزياء وطريقة العرض والتسويق استطاعت أن تتحكم حتى بالذوق الشخصي للفرد، فإذا أرادوا تسويق عجلة سيارة (مثلا) جعلوا في الدعايات الإعلانية العجلة مع امرأة فاتنة جميلة، وبالتكرار تقترن العجلة بصورة تلك الفاتنة في ذهن المشاهد، فتكتسي العجلة جمالا نفسيا في ردة الفعل الأولى، ولكن لو تأمل المشاهد وأعمل عقله يستطيع الفصل بينهما، إذ ما العلاقة بين جودة العجلة وصورة الفاتنة؟!

إلا أن معظم الناس يتحركون بردة الفعل الأولى، ولذا بفعل الدعايات، بعد أن كان زي ما قبيحا، أصبح حسنا، لأنه على "الموضة"[(١)].

إن أقبح الأشياء يمكن أن يصبح مقبولا بل حسنا إذا تسلطت عليه وسائل الإعلام لتحسينه.

لقد سلطت وسائل إعلام بني أمية على فكرة قبول ظلم الحاكم، وجعل طاعته من طاعة الله، والقيام ضده معصية لله، وكم هي قبيحة هذه الفكرة ومرفوضة عقلا، تأباها الفطرة البشرية، ومع ذلك استطاعت وسائل الإعلام الأموية إدخالها إلى أوهام الناس فحسنتها وجعلتها من صميم العقيدة، إن هذا مصداق وتطبيق واضح لقوله تعالى على لسان الشيطان:

﴿ولأضلنهم ولأمنيهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله...﴾[(٢)].

---

(١) وأذكر هنا كيف أن أشنع الأشياء على المرأة هو حلق شعرها بالموسى، وكان عقابا وقصاصا، وإذا ببعض نساء عصرنا بدأن يحلقن رؤوسهن لأنه عرض في دور الأزياء وأصبح "موضة" أو "صرعة"، فاستحسنت وأصبح عند البعض جمالا.

(٢) النساء، الآية ١١٩.

تفسير الآية:

إن المراد من ﴿**خلق الله**﴾ هو الفطرة البشرية، أي جوهر الدين وروح الشريعة، لأنّ عمل الشيطان وديدنه هو غواية الناس، وإبعادهم عن الحق وإيقاعهم في المعصية، وبالنتيجة تغيير دين الله.

وليس المراد منها خلق الله بمعنى المخلوقات المادية، فإن تغيير لون الإنسان وشكله، أو شكل حيوان، أو شكل نبات، أو شكل جبل، أو سهل، ليست غاية للشيطان، لأن غايته هي غواية البشر وإغرائهم بالمعصية. ألا ترى أنه يجوز لقاح شجرة التفاح بالإجاص، فتحمل إجاصاً بدل التفاح، أوليس هذا بتغيير خلق الله بالمعنى المادي العضوي، وهو ليس محرَّماً قطعاً، بل إنّ إنساناً مؤمناً مقطوعَ اليد مثلاً، أحبَّ إلى الله من إنسان سويّ الخلقة فاسق.

والذي يؤيِّد هذا المعنى قوله تعالى قبل ذلك على لسان الشيطان:

﴿**ولأضلّنَّهُم ولأمنِّيَنَّهم ولآمُرَنَّهم فَلَيُبَتِّكُنَّ آذان الأنعام...**﴾[1].

---

(١) النساء، الآية ١١٩.

ويُبَتِّكُنَّ أي يقطِّعنَّ، وهذا ما كان يفعله الجاهليون (أيّ الكفّار) بالأضاحي، وكأنه يريد أن يقول: لأعيدَنَّ الناس إلى الكفر، وهذا المعنى يتناسب مع ما ذكرناه من تفسير ﴿خلق الله﴾.

د. الوعّاظ والخطباء:

نذكر منهم الحسن البصري، فقد اشتهر بالزهد والعبادة، وخطبه في الوعظ والزهد وذم الدنيا والترغيب بالآخرة مشهورة، راقية، بليغة فصيحة، قوية في ألفاظها، دقيقة في معانيها، عميقة في أغوارها.

ثم إنه كان يذم بني أمية، ويذكر مثالبهم وشناعاتهم وسيئاتهم، وبذلك يثق به الناس وينجذبون إليه؛ فهو يصور الواقع، ويقول ما يريد الناس قوله ويخافون قوله، وهذا أمر يجذب الناس إليه؛ إلا أنه بعد ذم بني أمية ينهى الناس عن أي تحرك ضدهم!! لماذا؟ لأن الله أرادهم ملوكا على

الناس، وإن التحرّك ضدهم يعني التحرّك ضد إرادة الله، وهي معصية كبيرة، بل لا يقدر الناس على النيل منهم، ولذا، فليس للناس إلاّ الصبر على ظلمهم وإيذائهم وتعذيبهم لهم!

انظر إلى موقف الحسن البصري عندما دعا الناس إلى التفرُّق عن أعداء بني أميّة:

......فقال له ناس ممن سمع قوله: والله لكأنك يا أبا سعيد راضٍ عن أهل الشام؟! فقال: أنا راضٍ عن أهل الشام؟ قبَّحهم الله وبرَّحهم! أليس هم الذين أحلّوا حرم رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، يقتلون أهله ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ! قد أباحوهم لأنباطهم وأقباطهم، يحملون الحرائر ذوات الدين! لا

يتناهون عن انتهاك حرمة! ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام، فهدموا الكعبة، وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها، عليهم لعنة الله وسوء الدار![١].

ثم يفتي الحسن البصري:

أنه تجب طاعة ملوك بني أميَّة وإن جاروا، وإن ظلموا، والله لَمَا يصلح بهم أكثر مما يفسدون[٢].

تأمل ما هذه الأفكار، وكيف تتناقض مع جوهر الدين وروح الشريعة.

---

(١) تاريخ محمد بن جرير الطبري، أحداث سنة ١٠١، ج٤، ص٨٠.

(٢) فلسفة الإمامة والقيادة، للريشهري، ص٦١، ناقلاً عن كتاب الحكومة في الإسلام.

هـ. كبت الأمويين وقمع الحريات:

وكان كل مَنْ يقف ضد هذه الأفكار يُقْمَع، فإن بني أميَّة أرادوا تركيزها في نفوس الناس، وأدركوا أنّ أيّ اعتراض لها يوهنها ويضعفها لكونها هي بذاتها ضعيفة واهية، فكان لا بدّ من كمِّ الأفواه وسجن العقول، لكي يتسنّى لأفكارهم العبور بلا معارض.

ما فعل بمحمد بن إسحاق وبالحسن:

كان الذي يرفض فكرة الجبر يُجلَد ويُضْرب، فقد جُلِد محمد بن إسحاق صاحب السيرة النبوية المعروفة، لأنه خالف القول بالجبر والقدر.

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب عن الدراوردي:

وجُلِدَ ابن إسحاق، يعني في القدر[1].

وروى ابن سعد في طبقاته عن أيوب قال:

---

(١) تهذيب التهذيب، ج٥، ص٣٠.

نازلت الحسن في القَـــدَر غـير مـرَّة

حتى خوَّفته مـــن السـلطان، فقـال:

لا أعود بعد اليـــوم(١).

وللأسف لقد سَنَّ بنو أميّة سُنَّةً سيئة لسلاطين المسلمين في قمـــع مخالفيهم بالرأي، ونسوا حرية الرأي والفكر في الإسلام، فبدل أن يكـون الأمير هو الذي يصون الحرية ويدافع عنها كما هو الحال في الإســـلام، أصبح قامعاً لها.

لقد نسوا قوله تعالى:

﴿وجادلهم بالتي هـــي أحســـن﴾.

وبادروا إلى قمع كل مَنْ يخالفهم، إن قمع الحريّة مـــن السـمات الأساسية للمدرسة الأموية، بينما نجد أن إعطاء الحرية حقها وفضاءهـــا لتنطلق فيه هو من السمات الأساسية لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

---

(١) طبقات ابن سعد، ج٧، ص١٢٣.

انظر إلى الأئمة (عليهم السلام) كيف يُناظرون مخالفيهم في الدين أو في الرأي، و لم يلجأ أحد منهم قط إلى إرسال أتباعه يقتلون ويؤذون، انظر إلى جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) كيف كان ينهى عن استعمال الكلام الغليظ، بل دعا أصحابه ليناقشوا الرأي بكل هدوء، لقد ناقش هو نفسه ابن أبي العوجاء الزنديق الشهير في المسجد الحرام قرب الكعبة المشرَّفة، وانظر إلى المناظرة التي جرت في بلاط المأمون الخليفة العباسي، بين الإمام الرضى (عليه السلام) من جهة، ورؤساء الملل والنحل وكبار أصحاب المقالات والمتكلمين من جهة أخرى، وفيها إحتجّ الإمام (عليه السلام) على أهل الملل كلٍّ بكتابه وعقيدته، فأهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وهكذا..

حتى الحسين (عليه السلام) حاور زهير بن القين وجعله ينقلب من معادٍ إلى ناصر، وطلب حوار أهل الكوفة إلاّ أنّ أزلام بني أميّة خافوا انقلاب الناس عليهم، فقطعوا الحوار وبادروا إلى الحرب.

اب الأحنف بن قيس لمعاوية:

الأحنف بن قيس كان من زعماء العراق الكبار، وقد ذكر ابن سعد

طبقاته:

ذكــروا عنــد معاويـــة شــيئاً،

فتكلّمــوا والأحنـــف ســاكت،

فقال معــــاوية: تكلَّــم يــا أبــا

بحـــر، فقـــال (أي الأحنـــف):

أخــاف الله إن كذبــت، وأخـــافك

إن صدقـــت[1].

هذا غيض من فيض من قمع الأمويين وكبتهم، لكي تستمر وسائل

امهم في بثّ فكرة الإرادة الإلهية في تنصيب الحاكم، وعــدم جــواز

بدّي له، ولو كان ظالماً، ولتستمرَّ هذه الأبواق مـــن دون معــارض

واجز، ولتنتشر بين الناس، فَتُخدِّر العقول، وتُطَوِّع النفــوس، وتحــي

اب لكل حاكم ظالم، وليس لبني أميّة فقط، لأن الفكرة عامة تشــمل

طبقات ابن سعد، ج٧، ص٦٦.

كل الظَلَمَة، وإن قصد بنو أميّة خدمة ملكهم هم دون غيرهم، وكأنهم كانوا يظنون أنفسهم خالدين.

نتائج هذه المدرسة الأموية:

كان لمعاوية ما توخّاه من بثّ فكرة عدم جواز التصدّي للحاكم الظالم شرعاً، فتخدَّر الناس، وأطاعوا بني أميّة رغم كل فسقهم وجورهم، لأنه أدخل في صميم العقيدة أن طاعتهم من طاعة الله، وخلافهم مخالفة لله.

لقد خُدِّر الناس، وذلّوا، وخَنَعُوا، سُلِبَتْ إرادتهم، وحريتهم، وأموالهم، ومع ذلك كانوا ساكتين، لماذا؟ لأنه لا يجوز أن تقول للحاكم الظالم: قف عند حدّك.

بهذا طُوِّع الناس، فبالإضافة إلى القوة العسكرية، قُمِع الناس بإرادتهم، باسم الشرع، باسم الإسلام، يا للخبث!

وهكذا انقلب الإسلام من دين يحرِّر الشعوب إلى دين يُذِلُّهم ويستعبدهم، أصبح وسيلة للإذلال والقهر باسم الإرادة الإلهية، لقد أصبح بهذا المعنى أفيوناً وأخطر من الأفيون.

ولشدة تأثر الناس بالأبواق الإعلامية، لم تعد تنفع الخطابات والنداءات، لم يعد ينفع الكلام، وكان لا بد من وسيلة أخرى، كان لا بد من صفعة قوية للأمة تعيدها إلى رشدها، وتضع الأمور في نصابها الحقيقي، وتعيد إلى الإسلام أصالته وروحه، نعمة وحرية ورحمة للعالمين.

معاوية وحقيقة موقفه من الإسلام:

لقد استطاع معاوية قلب الحقيقة، وتغيير روح الإسلام وجوهره بما يناسب أهواءه ونوازعه، لقد أصبح سلطانا للمسلمين بعد أن حارب الإسلام قرابة واحد وعشرين عاما، حربا شعواء، يؤلب كل حاقد على الدين وكل كافر برب العالمين، مع أمه هند آكلة الأكباد (لاكت كبد حمزة بن عبد المطلب (رض) بعد استشهاده في معركة أحد) ومع أبيه أبي سفيان بن حرب.

دخل معاوية الإسلام بعد فتح مكة بعد أن أسقط ما في يده، وبالدهاء والخداع، توصل إلى حكم المسلمين باسم الإسلام، لكنه لم يأخذ منه إلا ما يناسبه، فكان يقول:

المال مال الله وأنا خليفة الله، فما أخذت فلي، وما أعطيت فبالتفضل مني[١].

روي في مروج الذهب للمسعودي[٢]:

قال المطرف بن مغيرة:

وفدت مع أبي المغيرة إلى معاوية، فكان أبي يأتيه يتحدث عنده، ثم ينصرف إلي، فيذكر معاوية، ويذكر عقله، ويعجب بما يرى منه. إذ جاء ذات ليلة، فأمسك عن العشاء فرأيته مغتما، فانتظرته ساعة، وظننت

---

(١) انظر ص٢٠.

(٢) مروج الذهب للمسعودي، ج٢، ص٣٤١. وشرح النهج لابن أبي الحديد، ج٥، ص١٣٠.

أنه لشيء حدث فينا أو في عملنا، فقلت له: مالي أراك مغتما منذ الليلة؟ قال: يا بني، إني جئتك من عند أخبث الناس! قلت له: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت منا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا وبسطت خيرا، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. فقال لي: هيهات، هيهات، ملك أخو تيم (أي أبا بكر) فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: ابو بكر، ثم

ملك أخو عدي (أي عمر بن الخطاب) فاجتهد وشمّر عشر سنين، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلاّ أن يقول قائل: عمر؛ ثم ملك أخونا عثمان، فملك رجل لم يكن في مثل نسبه، فعمل ما عمل، وعُمِل به، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره معه، وذكر ما فُعِل به، وإن أخا هاشم (أي محمد (صلّى الله عليه وآله)) يُصْرَخ به في كل يوم خمس مرّات: أشهد أن محمداً رسول الله، فأيّ عمل يبقى مع هذا، لا أمّ لك، والله إلاّ دَفْناً دَفْناً.

يريد أنه يعمل ليُدفَنَ ذكر رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

وصف أمير المؤمنين عليّ لمعاوية:

في نهج البلاغة:

والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس؛ ولكن لكل غدرة فجرة، ولكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يُعرف به يوم القيامة.

يقول الأميني في الغدير:

ولابن أبي الحديد في شرحه كلمة ضافية في شرح هذه الخطبة، فيها فوائد جمَّة من جهات شتّى، ومنها كلمة الجاحظ ابن عثمان حول معاوية، وقول أبي جعفر النقيب: إنّ معاوية من أهل

النـــار، لا لمخالفتـــــه عليّـــاً، ولا لمحاربتـــه إيّـــاه، ولكـــن عقيدتـــــه لم تكـــن صحيحـــة، ولا إيمانـــه حقـــاً، وكـــان مـــن رؤوس المنـــافقين هـــو وأبوه، ولم يُسْـلِم قلبـــه قـــط، وإنمـــا أسلم لســـانه.

وكان يذكر من حديث معاوية:

ومن فَلَتات قوله، ومـــا حفـــظ عنـــه من كلام، يقتضـــي فســـاد العقيـــدة شيئاً كثـــيراً...

وروى العلاء بن حريز القشيري أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال لمعاوية:

لتتخـــذنَّ البدعـــة سُـــنَّة، والقبـــح حســـنا، أكلـــك كثـــير، وظلمـــك عظيـــم[1].

---

(١) شرح النهج، ج٤، ص٧.

وعن الحسن، قال:

أربع خصالٍ كُنَّ في معاوية، لو لم يكن فيه منهنّ إلاّ واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمّة بالسفهاء حتى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكّيراً خمّيراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): الولد للفراش وللعاهر الحَجَر، وقتله حُجْراً، ويلاً له من حُجْر! مرتين[1].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك، لمحمد بن جرير الطبري، ج٣، ص٢٣٢، أحداث سنة ٥١.

ومن أراد المزيد، فليراجع كتاب "الغدير" للشيخ الأميني، الجزء العاشر، وليراجع كتب التاريخ ليجد فيها هنات وهنات.

ذهنية الأمويين العامة في الحكم:

عندما نتكلم عن ذهنية الأمويين، فإنا نتكلم عن الذهنية العامة لحكامهم، وليس عن الأشخاص؛ وإلا، فإن فيهم أشخاصا مؤمنين صالحين، أمثال معاوية الثاني، أي معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فإنه رغم كونه ابن يزيد وحفيد معاوية، لكنه كان رجلا تقيا ورعا صالحا زاهدا، لم تستعبده الدنيا، و لم يكن له طمع في شيء منها، ودام ملكه أربعين يوما، وتركه لأنه كما قيل لم يكن يرى نفسه أهلا للخلافة مع وجود علي بن الحسين (عليه السلام).

تصوروا أن شابا في ريعان شبابه، قد استوسقت له الدنيا وأسلمت قيادها له، فهو الحاكم لأعظم دولة على وجه الأرض، وانساقت له شهواها من نساء ومال وذهب ومأكل ومشرب وسلطة وفتوحات وجيوش وخيل وجاه، وكل ما تشتهي نفس بشر في هذه الدنيا، ثم يقول بعد ذلك أنه لا يريد أن يدخل في إثم الناس، لأن الخلافة ليست له!!!

ولكن معاوية بن يزيد رحمه الله تعالى كان فردا، وكان أمثاله قلة في بني أمية، نعم كان حجة عليهم جميعا يوم القيامة؛ فإنهم إن برروا سفكهم الدماء وظلمهم وقسوتهم وتمسكهم بحق ليس لهم، إذا برروا ذلك بأن الملك عقيم، وأن الملك لا يرفضه بشر، فإن أمثال معاوية بن يزيد حجة عليهم، تماما كنبي الله سليمان بن داوود (عليه السلام) الذي هو حجة على كل ملوك البشر.

ومن هنا، عندما نتحدث عن الأمويين، فإنما نعني الذهنية العامة التي تحركهم.

ذهنية معاوية:

لقد مر معنا كلامه:

الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركته كان جائزا لي[1].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي، ج٣، ص٥٢، الطبعة الرابعة.

وإليك هذا الموقف الآخر لمعاوية:

لما تم الصلح بين معاوية وبين الحسن بن علي (عليه السلام)، وشعر باستتباب الأمر له، وبات لا يخاف أحدا، خطب في أهل الكوفة:

يا أهل الكوفة، أترونني قاتلتكم
على الصلاة والزكاة والحج؟
وقد علمت أنكم تصلون
وتزكون وتحجون، ولكني
قاتلتكم لأتأمر عليكم، وألي
رقابكم، وقد أتاني الله ذلك
وأنتم كارهون، ألا إن كل دم
أصيب في هذه مطلول[1]، وكل
شرط شرطته فتحت قدمي
هاتين[2].

---

(١) مطلول: مهدور ومبطل.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج٦، ص٢٢٠.

هذا النص يطفح في إظهار ما في النفس من حب الدنيا والسلطة والغدر والإستخفاف بالعهود والمواثيق.

ذهنية عمرو بن العاص:

كان واليا على مصر من قبل معاوية؛ سأله صاحب إخنا بمصر أن يخبره بمقدار ما عليه من الجزية؟ فأجابه:

لو أعطيتني من الأرض إلى السقف ما أخبرتك ما عليك، إنما أنتم خزانة لنا، إن كثر علينا كثرنا عليكم، وإن خفف عنا خففنا عنكم[1].

ذهنية سعيد بن العاص:

كان واليا لعثمان بن عفان على الكوفة، وقد نقل عنه المسعودي في "مروج الذهب" ضمن نقاش دار بينه وبين مالك الأشتر:

---

(١) ثورة الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين، ص٦٩، طبعة المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت.

إنما هذا السواد قطين لقريش[1][2].

والسواد هو البساتين والسهول الزراعية الواسعة في العراق.

ونقل بعضهم ذلك بنص آخر:

إنما العراق بستان لقريش، ما شئنا أخذنا منه، وما شئنا تركناه.

وكأن جهاد المسلمين كان فقط لبطر قريش وتنعمها وتسلطها، هذا الجهاد الذي كان لنشر الإسلام وتطبيق العدالة، وليكون رحمة للعالمين يخرجهم من الظلمات إلى النور، كأن هذا الجهاد الذي لم يكن بدافع القتال والحرب والتوسع، بل بدافع رفع الحواجز أمام انتشار الفكر والدين الإسلامي فيما لو أقيمت هذه الحواجز، أي أن الحرب ضد الإرهاب

---

(١) عن لسان العرب لابن منظور: القطين: أتباع الملك ومماليكه، وأيضا: الخدم والأتباع والحشم.

(٢) مروج الذهب للمسعودي، ج٢، ص٣٤٦.

والقمع من أجل الحرية، ومع عدم هذه الحواجز لا تشرع الحرب أصـلا، يقول تعالى:

﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[١].

هذا الجهاد وهذه الفتوحات حولها بنو أمية إلى أراض مستباحة يدفع الناس فيها الضرائب لإرضاء الحكام وتغطية لنفقات ترفهم على حساب كرامة وعرق المساكين من المواطنين.

بل حتى الخليفة الثالث عثمان بن عفان نفسه يقول:

لنأخذن حاجتنا من هذا الفيء، وإن رغمت أنوف أقوام[٢].

وفي نص آخر:

---

(١) سورة النحل، آية ١٢٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٣، ص٤٩.

فغضب عثمان وقال: هذا مال الله أعطيه من شئت، وأمنعه من شئت، فأرغم الله أنف من رغم.

الإسلام دين سلام:

متى تشرّع الحرب في الإسلام:

لا بأس بالتعريج على هذا الموضوع، وبالإشارة إلى أن الإسلام دين سلام ورحمة ووئام، وليس دين حرب وعنف.

و لم يَدْعُ الإسلام أبداً يوماً للحرب من أجل التسلّط ونهب ثروات الشعوب، كما هو منطق كثير من الأمم في الحرب، وكما تقتضيه الجهة السلبية من فلسفة الصراع من أجل البقاء، بل كما تقتضيه الأنانية، سواء كانت أنانية سلطان فرد، أم أنانية أمّة.

لقد اشتهر عند المؤرخين أنه لم يعرف العالم فاتحاً أرحم من المسلمين، بل كانت البلاد تفتح أبوابها استقبالاً للفاتح الجديد، هذه الأمّة التي أرسل الله نبيَّها رحمةً للعالمين، ليخرج الناس من ظلمات الكفر

والظلم، إلى نور الحق والعدالة، وإن أصبح ملوك المسلمين من بني أميّة وغيرهم، وللأسف الشديد، وفي كثير من الأحيان، يفتحون البلاد في أنحاء العالم طمعاً بالغنائم، ولتوسيع رقعة سيطرتهم، ولجبي الضرائب.

نعم، تشرّع الحرب في حالتين:

الحالة الأولى: حالة الدفاع، وهذا أمر مشروع بالوجدان، ولذا لم يحارب النبي (صلّى الله عليه وآله) كفّار قريش إلاّ بعد أن هجّروا المسلمين، وأخرجوهم من ديارهم، ونهبوا أموالهم، وبعدما ظلموهم وقطّعوا الطرق في وجههم، ومنعوهم من إبلاغ رسالتهم؛ فنزل قوله تعالى:

﴿أُذِنَ للذين يُقاتَلون بأنهم ظُلِموا
وإن الله على نصرهم لقدير *
الذين أُخرجوا من ديارهم بغير
حق إلاّ أن يقولوا ربّنا الله ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض
لهدّمت صوامع وبيع وصلوات
ومساجد يذكر فيها اسم الله

كثيرا ولينصرن الله من ينصره
إن الله لقوي عزيز * الذين إن
مكناهم في الأرض أقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله
عاقبة الأمور﴾[١].

وانظر إلى موقف القرآن من الناس المسالمين، الذين لا يؤذون المسلمين، لقد نهى القرآن عن حربهم وقتالهم، بل أجاز الإحسان إليهم:

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم
يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم أن تبروهم
وتقسطوا إليهم إن الله يحب
المقسطين * إنما ينهاكم عن
الذين قاتلوكم في الدين

(١) سورة الحج، ٣٩ــ٤١.

وأخرجوكم من دياركم
وظاهروا على إخراجكم أن
تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم
الظالمون﴾[1].

وانظر إلى موقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في عهده إلى مالك الأشتر عندما أرسله واليا على مصر، هذا العهد الذي يعتبر من أهم النصوص في الفكر الإنساني العالمي في مسألة العلاقة بين الحاكم والمحكوم، حيث يوصي الإمام الوالي مالكا الأشتر بالرأفة والرحمة بالناس جميعا، مسلمين وغير مسلمين:

الناس اثنان: إما أخ لك في
الدين، أو نظير لك في الخلق[2].

الحالة الثانية: وهي فيما لو أقام الآخرون الحواجز دون تبليغ كلمة الله، وإلا فإن الإسلام دعا إلى نبذ العنف:

---

(١) سورة الممتحنة: آية ٨ـ٩.

(٢) نهج البلاغة، كتاب ٥٣، عهد الأشتر.

﴿لا إكــراه في الديــن قــد تبيَّــــن الرشد من الغـــيِّ﴾[١].

وإلى الحوار:

﴿وادعُ إلى ســبيل ربّــك بالحكمــــة والموعظــة الحســنة وجــادلهم بــالتي هي أحســــن إنّ ربّــك هــو أعلــم بمن ضلَّ عـــن ســبيله وهــو أعلــم بالمــهتدين﴾[٢].

بل دعا إلى النقاش الهادئ العلمي العقلاني للوصول إلى الحقيقة كما يقول القرآن الكريم عن لسان النبي (صلّى الله عليه وآله) مخاطباً الكفّار:

﴿وإنّا أو إيّـــاكم لعلــى هـــدىً أو في ضلال مبـــين﴾[٣].

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٦.

(٢) سورة النحل، آية ١٢٥.

(٣) سورة سبأ، آية ٢٤.

ومن هنا، ولأن أعداء الله يحاولون إطفاء نور الله، وحجب الحقيقة عن الناس بمنع انتشاره بشتى الوسائل، ووضع الحواجز دون استفادة شعوب الأرض من هذه النعمة الربانية، جاز رفع هذه الحواجز فقط، ولو فرضنا أن العالم كله يتعاطى مع الإسلام بكل روح علمية ومنطقية وإنسانية، ولم يحاول هذا العالم الظالم منع الإسلام بالعنف والقوة والتعصب، لما كانت الحرب مشروعة من وجهة نظر دينية[1].

ولذا، فإن كل التجاوزات، أو كل ما شاب الفتوحات الإسلامية من بعض التصرفات التي نهى الإسلام عنها عند التعامل مع شعوب الأرض غير المسلمة، فإن منشأها هو هؤلاء السلاطين أمثال بني أمية وبني العباس، الذين فتحوا باسم الإسلام، ولم يكن غرضهم (هم شخصيا) سوى الفتح والسلطة والغنائم.

---

(١) وهذا الموضوع مبحوث في الكتب الفقهية في باب الجهاد، فمن أراد التوسع فليراجع.

نماذج
من ظلم الأمويين وولاتهم

نماذج من ظلم الأمويين وولاتهم:

لقد كثرت الثورات على بني أميّة، وهي تدلّ بكثرتها على شدة الظلم الممارس على الناس، فتتأجج النفوس، وتكبر الأحقاد، وتمتلأ القلوب ضغينة، وتتفاقم الأمور، لتصل إلى النتيجة الحتمية عند بني البشر، وهي الثورة. يقول الشاعر:

إن ملكت الرقاب فابغ رضاها
فلها سَوْرَةَ وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الأسـ
ـر فكيف الخلائق العقلاء

وقد مرَّ معنا المنحى الفكري لسياسة الأمويين، مع المسلمين وغير المسلمين، ومع الأرض التي فتحت باسم الإسلام، تلك الفتوحات التي قامت بها أمّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، التي بناها لتكون خير أمَّة أُخرجت للناس، وإذا ببني أميّة يحوِّلونها إلى مجرد سلطان وملك عقيم، ووسيلة لزيادة ترفهم وتسلّطهم، فإنك بمجرَّد أن تنظر إلى كلماتهم التي

مرَّت يظهر لك ذلك بوضوح، فسواد العراق بستان لقريش، ومصر طعمة لعمرو بن العاص يتصرف فيها كيف شاء وعلى هواه[1]، وأنّ المال مال الله، وأنا خليفة الله، فما أخذت فلي، وما أعطيت كان جائزاً لي.

إكراه الناس على البيعة:

لما كانت سنة ٥٠ كتب معاوية إلى الأمصار أن يفدوا عليه، فوفد عليه من كل مصر قوم........، ثم جلس معاوية في أصحابه وأذن للوفود، فدخلوا عليه، وقد تقدَّم في أصحابه أن يقولوا في يزيد (أي يثنوا عليه) فكان أوَّل مَنْ تكلّم الضحّاك بن قيس.........، ثم تكلّم عمرو

(١) وأتبع لها أفريقية.

بن سعيد........، ثم قام
يزيد بن المقفّع فقال: أمير
المؤمنين هذا، وأشار إلى معاوية،
فإن هلك، فهذا، وأشار إلى
يزيد، فمَنْ أبى فهذا، وأشار إلى
سيفه. فقال معاوية: اجلس
فإنك سيد الخطباء........
إلى آخر القصة[١].

سفك الدماء بلا حساب:

لم يكن للإنسان احترام عند الأمراء والولاة من بني أميّة، بينما أكّد الإسلام احترام الإنسان كإنسان، فالحدود تُدرأ بالشبهات[٢]، وأوجب الاحتياط في الدماء، فلا يقتل متّهم، مثلاً، إلاّ بعد إثبات أنه قاتل عن عمد.

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، ج٣، ص٣٥٧، طبع دار الأندلس، بيروت.

(٢) أي: لو فرضنا شخصاً ارتكب ما يقتضي الحدّ، وشككنا أنه فعل ما فعل عن عمد أو خطأ أو شبهة، فإنه لا يُقام عليه الحدّ.

سفك الدماء إرهاباً:

كان زياد بن أبيه والياً لمعاوية على البصرة[1]، ساس الناس بسياسة لم يُرَ مثلها، وهابه الناس هيبة لم يهابوها يوماً أحداً قبله، كما يقول الطبري في تاريخه، وكان من جملة قراراته منع التجوّل ليلاً، يقول الطبري:

ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج، فيخرج ولا يرى إنساناً إلاّ قَتَله؛ قال: فأخذ ليلة أعرابياً، فأتى به زياداً، فقال: هل سمعت النداء؟ (أي نداء المنادي بمنع التجوّل ليلاً) قال: لا والله، قدمت بِحَلوبة لي،

---

(١) زياد ابن أبيه، ويدعى زياد بن سمّية، لأنّ أمّه سميّة زنت فيه، وادّعاه عدد من الرجال منهم أبو سفيان، فأراد معاوية استمالته، فأغراه بأمور منها أن يدعوَه لأبيه، فصار يسمّى زياد بن أبي سفيان، وصار أخ الخليفة، ومعاوية بهذا التصرّف يخالف القرآن ﴿**ادّعوهم لآبائهم**﴾ سورة الأحزاب، آية ٥، ويخالف إجماع المسلمين وسنّة النبيّ (صلّى الله عليه وآله): "**الولد للفراش وللعاهر الحجر**"، أي أن الزاني ليس له أن يدّعي أن الولد له. انظر وسائل الشيعة، كتاب النكاح، ج١٤، ب٥٨ من أبواب نكاح العبيد والإماء، ج٣، و٤، و٧.

وغشيني الليل، فاضطررتها إلى موضع، فأقمت لأصبح، ولا عِلْمَ لي بما كان من الأمير؛ قال: أظنّك والله صادقاً، ولكن في قتلك صلاح هذه الأمّة. ثم أمر فضُربت عنقه[1].

ويكمل الطبري بعد ذلك:

...وكان زياد أوّل مَنْ شدَّ أمر السلطان، وأكّد الملك لمعاوية، وألزم الناس الطاعة، وتقدَّم في العقوبة، وجرَّد السيف، وأخذ بالظنَّة، وعاقب على الشبهة، وخافه الناس في سلطانه خوفاً شديداً، حتى أَمِنَ الناس بعضهم

---

(١) تاريخ الطبري، محمد بن جرير، مجلد ٣، ص١٩٨، أحداث سنة ٤٥.

بعضـــــا... (أي صـــــار يخـــــاف بعضهم بعضـــــا).

سفك الدماء استهتارا:

كان سمرة بن جندب واليا على البصرة[1]، يروي الطبري في تاريخه:

---

(١) سمرة بن جندب كان معاندا لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهـــو الـــذي ورد فيـــه حديث: "لا ضرر ولا ضرار في الإسلام"، والقصة أن سمرة كان له عذق (أي نخلـــة) في بستان أحد الأنصار، وكان للأنصاري بيت في هذا البستان، وكان سمرة يأتي نخلته ويمـــر ببيت الأنصاري من دون استئذان، فطلب منه الأنصاري أن يستأذن، فأبى، فشـــكاه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فطلب منه رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يستأذن في الدخول، فأبى، فطلب بيع النخلة، فأبى، ودفع له أغلى الأثمان، فأبى، وقال له: بعها ولـــك بدلها عذق في الجنة، فأبى!!! فالتفت رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الأنصاري وقال: يا أنصاري، اذهب واقتلعها، وارم بها وجهه، والتفت إلى سمرة وقال: يا سمرة، إنك رجـــل مضار، وإنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام. انظر إلى هذا الرجل الذي يرفض وعد رســـول الله (صلى الله عليه وآله) بنخل له في الجنة، كيف يجعله معاوية من حاشـــيته وخواصـــه وولاته، إنه نموذج لمساعديه ووزرائه. ثم إن معاوية جمع لزياد البصرة والكوفـــة، وكـــان يتبعهما خراســـان وسجستان والـــري والســـند (أي إيـــران وباكســـتان وآذربيجـــان وكازاخستان وطاجكستان وأفغانستان ومعظم وسط آسيا)، فتوجه زيـــاد إلى الكوفـــة واستعمل (أي ولى) على البصرة سمرة بن جندب. وجعل معاوية سمرة من جملة المحدثين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله). ينقل ابن أبي الحديد عن أبي جعفر محمد بـــن عبـــد الله الإسكافي وكان أحد أئمة المعتزلة: "أن معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين-

أقبل سمرة من المدينة، فلما كان عند دور بني أسد، خرج رجل من بعض أزقتهم ففجأ أوائل الخيل، فحمل عليه رجل من القوم(١) فأوجره الحربة(٢)؛ قال:

= على رواية أخبار قبيحة في علي (عليهم السلام)، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلا (أي مكافأة من مال أو منصب) يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، ومنهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير" "شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٤، ص٦٣، طبعة دار إحياء التراث العربي. وروى سمرة بن جندب أحاديث مختلقة في الذم والقدح في علي بن أبي طالب (عليهم السلام) إرضاء لمعاوية: "قال أبو جعفر: وقد روي أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب: ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد** ﴾ [سورة البقرة، آية ٢٠٤ـ٢٠٥]. وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم (وهو قاتل علي (عليهم السلام) غدرا بسيف مسموم في مسجد الكوفة)، وهي قوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله**﴾ [سورة البقرة: آية ٢٠٧]، فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم، فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف درهم، فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف درهم، فقبل وروى ذلك.

(١) أي من رجال حرس سمرة.

(٢) أي طعنه بالحربة.

ثم مضت الخيل، فأتى عليه سمرة
بن جندب وهو متشحط بدمه،
فقال: ما هذا؟ قيل: أصابته
أوائل خيل الأمير؛ قال: إذا
سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا
أسنّتنا[1].

هكذا، وبكل بساطة يستهتر بدماء الناس، فإنه يجب (برأي سمرة) على الناس أخذ احتياطاتهم لمجرد سماعهم بركوب الأمير، ومن يصرع فدمه مهدور.

يروي الطبري عن محمد بن سليم قال:

سألت أنس بن سيرين: هل كان
سمرة قتل أحداً؟ قال: وهل
يحصى مَنْ قتل سمرة بن جندب!
استخلفه زياد على البصرة،

---

(١) تاريخ الطبري، ج٣، ص٢٠٨، أحداث سنة ٥٠ هجرية.

وأتـى الكوفـة، فجـاء وقـد قتـل
ثمانية آلاف من النـاس؛ فقـال لـه:
هل تخـاف أن تكـون قـد قتلـت
أحداً بريئاً؟ قال: لـو قتلـت إليـهم
مثلهم ما خشـيت[1].

وفي نفس المصدر:

قتل سمـرة مـن قومـي في غـداة[2]
سـبعة وأربعـين رجـلاً قـد جمـع
القـرآن.

الغدر:

لقد أعطى معاوية الحسن بن علي (عليه السلام) شروطاً، وذلـك في متن عقد الصلح بينهما، منها أن يكون الخليفة مـن بعـده الحسـن أو الحسين، فغدر معاوية وجعل الخلافة من بعده لابنه يزيد؛ ومنـها عـدم

---

(١) تاريخ الطبري، ج٣، ص٢٠٨، أحداث سنة ٥٠ هجرية.
(٢) الغداة: الصبيحة.

ملاحقة أتباع عليّ (عليه السلام) فلاحقهم معاوية وقتل الأطهار من الصحابة أمثال حجر بن عدي الكندي (رض)، وكان رأس عمرو بن الحمق الخزاعي أول رأس حمل في الإسلام، وانظر إلى خطاب معاوية في أهل الكوفة بعد الصلح.

وكل شرط شَرَطْتُه فتحت قدميَّ هاتين[1].

وفي نصٍ آخر:

أني والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، وإنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا وإني قد منيّت الحسن بن علي وأعطيته

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج٦، ص٢٢٠.

أشـــياء، وجميعـــها تحـــت قدمـــي لا

أفي بشيء منـــــها[١].

ومن أراد المزيد فلينظر إلى كتب التاريخ والسير، فإنها مملوءة بمظـالم الأمويين، وقد وصف الحسين (عليه السلام) هذه الحالة:

... في كل بلد منـــهم علـــى منـــبره

خطيـــب يصقـــع[٢]، فـــالأرض لهـــم

شاغرة، وأيديـــهم فيـــها مبســـوطة،

والناس لهـــم خـــول[٣]، لا يدفعـــون

يـــد لامـــس[٤]، فمـــن بـــين جبـــار

عنيـــد، وذي ســـطوة علـــى

الضعفـــة[٥] شـــديد، مطـــاع لا

---

(١) منتهى الآمال في تواريخ محمد والآل، ج١، ص٣٢١، طبع الدار الإسلامية، بيروت.

(٢) أي خطيب مؤثر في الناس يطوعهم لهم.

(٣) خول: عبيد.

(٤) أي لا يردون يدا تمتد عليهم.

(٥) الضعفة: الضعفاء.

يعرف المُبدئ والمعيد[١]، فيا عجباً، ومالي لا أعجب، والأرض بين غاشّ غشوم، ومتصدق ظلوم، وعامل[٢] على المؤمنين بهم غير رحيم...[٣].

انعكاس الصورة عند الباحثين:

وللأسف، وبعد أن كان العالم يفتح أبوابه للإسلام ديناً ورحمة، ونظاماً عادلاً، وإذا بهذه التصرفات تقلب الصورة عند الباحثين من الشرق والغرب، وأصبحت الدولة الإسلامية لا تختلف في نظرهم عن الدولة الكسروية أو القيصرية، أو أيّة دولة ديكتاتورية، ليس فيها حرية للشعب، ولا ضمانات صحية أو إجتماعية تصون كرامة الإنسان، فطفقوا يكتبون عن الرأسمالية الإسلامية وحكم الفرد بحسب رغباته، مستشهدين بتصرفات سلاطين بني أميّة وبني العباس.

---

(١) أي الله عزّ وجلّ.

(٢) عامل: المراد به الوالي والأمير.

(٣) بحار الأنوار للمحدّث المجلسي، ج١٠٠، ص٨٠، ناقلاً عن كتاب تحف العقول.

الإنحراف التشريعي



الإنحراف التشريعي:

الإستهتار بسنّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في مقام التشريع:

ذكر الشيخ الأميني في كتابه الغدير:

أخرج مالك والنسائي وغيرهما من طريق عطاء بن يسار: إن معاوية «رضي الله عنه»، باع سقاية من ذهب أو ورق[1] بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء «رضي الله عنه»: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نهى عن مثل هذا إلاّ مثلاً بمثل. فقال معاوية: ما أرى بهذا بأساً. فقال له أبو الدرداء «رضي الله عنه»: مَنْ يعذرني من معاوية؟ أنا أخبره عن رسول

(١) الورق: الفضة.

الله (صلّى الله عليه وآله) وهو يخبرني عن رأيه؛ لا أساكنك بأرض أنت بها. ثم قدم أبو الدرداء (رضي الله عنه) على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فذكر له ذلك، فكتب عمر إلى معاوية: أن لا تبع ذلك إلاّ مثلاً بمثل، وزناً بوزن[1].

انظر إلى كلمة معاوية: "ما أرى بهذا بأساً" ردّاً على رسول الله (صلّى الله عليه وآله). وهل نرى استخفافاً بسنّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أكثر من هذا؟! أوليست سنّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حجّة يجب اتّباعها والعمل بها بإجماع المسلمين ومن ضروريات الدين، وبنص القرآن الكريم:

---

(١) الغدير للشيخ الأميني، ج١٠، ص٢٢٤.
وقد نقل هذا الحديث عن الترغيب والترهيب وموطأ ابن مالك، واختلاف للشافعي وسنن النسائي، وسنن البيهقي.

﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحيٌ يوحى﴾[1].

وأمْرِ القرآن الواضح باتّباع الرسول (صلّى الله عليه وآله):

﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[2].

وهذا القول من معاوية ليس مجرد عصيان، فإن العاصي بشرب الخمر أو القتل أو السرقة مثلاً لا يقول إنها حلال، بل يقول إنها حرام، ولكن إرادته ضعيفة أمام نفسه الأمّارة بالسوء، فيعصي الله. أمّا معاوية فهو يردُّ على رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، أي الردّ على مستوى التشريع، لا على مستوى المسلك والفعل، وهو أمر أخطر بكثير من العصيان، إنه بدعة، وكل بدعة في النار.

---

(١) سورة النجم، آية ٣ـ٤.

(٢) سورة الحشر، آية ٧.

إحداثات بني أميّة:

وإليك بعض الأمثلة عن الإنحرافات في مقام التشريع:

عن المحلّى لابن حزم:

أحدث بنو أميّة تأخير الخروج إلى العيد، وتقديم الخطبة قبل الصلاة، والآذان والإقامة.

وعنه عن الشافعي قال:

لم يؤذّن للنبي (صلّى الله عليه وآله) ولا لأبي بكر ولا لعمر ولا لعثمان في العيدين حتى أحدث ذلك معاوية بالشام، فأحدثه الحَجَّاج بالمدينة حين أُمِّر عليها[1].

---

(١) الغدير للشيخ الأميني، ج١٠، ص٢٣٣.

ونقل في الغدير:

أن معاوية صلى الجمعة يوم الأربعاء، ونقل عن فتح الباري ونيل الأوطار أنه قدم وقت صلاة الجمعة إلى الضحى، بينما وقتها المضروب لها في شريعة الإسلام الزوال[1] لا غيره[2].

ومن أراد المزيد ففي كتب التاريخ والفقه والحديث الكثير.

تحليل حول هذه الإحداثات:

وقد يقال: ما غاية بني أمية من هذه الإحداثات، فإن الأذان في صلاة العيد لا يضر سلطاهم ولا سلطان أحد، ولا يعارض مصلحتهم؟

---

(١) الضحى: هو وقت ارتفاع الشمس بين الشروق والظهر.

(٢) الغدير للشيخ الأميني، ج١٠، ص٢٣٩.

والجواب: إن مجرد التجرؤ على مخالفة الدين في أمـــور تبـدو في ظاهرها صغيرة يؤدّي شيئاً فشيئاً إلى الجرأة علـــى مخالفتـه في الأشـياء الكبيرة، فإنّ الغاية من هذه الإحداثات هي مجـرد إحداثـات، لأن زرع الإستهانة بأمور صغيرة في الدين يؤدّي بالناس إلى الإستهانة حتى بمخالفـة سيد المرسلين، وهذا يؤدّي إلى اختراق الشريعة عندما يحلو لهم فـيرتكبون ما يوافق أهواءهم[١].

الإنحرافات المسلكية:

وهي كثيرة جداً، ويكفي فيها ادّعاء موقع مهم وخطير كالخلافـة، والذي هو أهم موقعٍ بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وتنصيبه ابنـه يزيد شارب الخمور والمُعْلن بالفجور لهذا الموقع، وفرض ذلـك بـالقوة، واستعماله أهل الظلم والجور كولاة على المسلمين.

إلاّ أنه حتى في مسلكه الفردي كان بعيداً عن تقوى الله.

---

(١) للمزيد انظر النصائح الكافية، ص١٢٩.

شرب الخمر:

أخرج ابن عساكر في تاريخه، وابن سفيان في مسنده، وابن قانع، وابن منده، من طريق محمد بن كعب القرظي، قال:

غزا عبد الرحمن بن سهل الأنصاري زمن عثمان، ومعاوية أمير على الشام، فمرَّت به روايا خمر (لمعاوية) فقام إليها برمحه. فقال: دعوه، فإنه شيخ قد ذهب عقله. فقال: كلا والله ما ذهب عقلي، ولكن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نهانا أن ندخل بطوننا وأسقيتنا خمراً، وأحلف بالله لئن بقيت حتى أرى في معاوية ما سمعت من رسول الله (صلّى الله عليه

وآله)[1]، لأبقرنّ بطنه أو لأموتنّ دونه[2].

اغتيال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بالسم:

يذكر محمد بن جرير الطبري في أحداث سنة ٤٦ هجرية:

أن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد كان قد عظم شأنه بالشام، ومال إليه أهلها، لما كان عندهم من آثار أبيه خالد بن الوليد، ولغنائه عن المسلمين في أرض الروم وبأسه، حتى خافه، وخشي على نفسه منه، لميل الناس إليه، فأمر ابن آثال (النصراني) أن يحتال في قتله،

---

(١) يقصد قول الرسول الأكرم (ص): "إذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه"، النصائح الكافية، ص٧٢، نقلا عن كتاب صفين، ص٢٤٨، وعن كنور الدقائق للمناوي، ص١٠.

(٢) الغدير للأميني، ج١٠، ص٢٢١.

وضمن له إن هو فعل ذلك أن
يضع عنه خراجه[1] ما عاش،
وأن يولّيه جباية خراج حمص،
فلمّا قدم عبد الرحمن بن خالد
بن الوليد حمص منصرفاً من
بلاد الروم، دسَّ إليه ابن آثال
شربة مسمومة مع بعض مماليكه،
فشربها، فمات بحمص، فوفّى له
معاوية بما ضمن له، وولاّه خراج
حمص، ووضع عنه خراجه[2].

السكوت أصبح مساهمة في المشروع الأموي:

لقد بلغ الإنحراف حدّاً لا يمكن السكوت عنه، بل لم يعد مجرد إنحراف، لقد كان مشروعاً أمويّاً لقلب المفاهيم الإسلامية جذرياً، بحيث يسمح بتسخير الإسلام لأهوائهم.

---

(١) يضع عنه الخراج: يسقط عنه الضرائب.

(٢) تاريخ الطبري، أحداث سنة ٤٦هـ، ج٣، ص٢٠٢.

عدم خروج الحسين (عليه السلام) لأجل السلطة:

ومن هذا كله نفهم أن الحسين ما خرج لأجل السلطة لعدم إمكانية ذلك في ذلك الزمن، فقد خُدِّر الناس وتعفّنت عقولهم وخارت نفوسهم، وكان من المحال قيامهم ضد الظلم وإزاحة الحاكم عن العرش. وقد تنبّأ بذلك الحسين، بل بعض أصحابه كعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب حين خروجه من المدينة وغيرهما[1].

وإن الوقائع تثبت ذلك، فإن مَنْ يقوم لأجل السلطة يحاول أن يجمع الناس حوله، لا أن يفرّقهم عنه، فيقول سأصل إلى السلطة وسأنتصر وسأحكم، ثم يغري الناس، خصوصاً القبائل والعشائر وأهل النفود بتعيين هذا أمير وذاك وزير وغير ذلك من وسائل الإغراء. بينما كان الحسين (عليه السلام) يقول:

سأُقتَل...

---

(١) ودّعه عبد الله بن عمر بن الخطاب باكياً قائلاً: "أستودعك الله يا أبا عبد الله، فإنك مقتول في وجهك هذا". بحار الأنوار للمجلسي، ج٤٤، ص٣١٣، طبع مؤسسة الوفاء بيروت.

وكأني بأوصالي هذه تقطّعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء"[1].

فمَنْ كان باذلاً فينا مهجته، مُوطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإني راحل مُصْبحاً إن شاء الله[2].

وكتب الحسين:

من الحسين بن علي إلى بني هاشم: أمّا بعد، مَنْ لحق بي منكم استشهد، ومن تخلّف عنّي لم يبلغ الفتح والسلام[3].

---

(١) مقتل الحسين للمقرّم، ص١٦٦، دار الكتاب الإسلامي، بيروت.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي، ج٤٤، ص٣٦٧.

(٣) مقتل الحسين لابن طاووس، ص٢٧، طبع دار المرتضى، بيروت.

انظر إلى كلمة "**لم يبلغ الفتح**"، فإن استشهاد الحسين كان فتحاً، لأنه كان إعادة الإسلام إلى الحياة من جديد، وسيأتي بيان ذلك لاحقاً.

كما ورد استشهاد الحسين في الحديث عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، نذكر منه ما رواه ابن عساكر بإسناده عن شداد أبي عمار، قال:

قالت أم الفضل بنت الحرث، زوجة العباس بن عبد المطلب: يا رسول الله، رأيت رؤيا أعظمك أن أذكرها لك! قال: اذكريها. قالت: رأيت كأن بضعة منك قُطعت فوُضِعتْ في حجري! فقال صلى الله عليه وسلم: إنّ فاطمة حبلى تلد غلاماً أسمّيه حُسيناً وتضعه في حجرك؛ قالت: فولدت فاطمة حسيناً؛ فكان في حجري أربّيه، فدخل عليَّ رسول الله صلّى الله

عليه وسلّم يوماً وحسين معي، فأخذ يلاعبه ساعة؛ ثم ذرفت عيناه! فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: هذا جبرئيل يخبرني أنّ أمّتي تقتل ابني هذا[١].

وكثير من الروايات والأحاديث الشريفة التي وردت على لسان الرسول (صلّى الله عليه وآله) والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، بل وعن الحسين (عليه السلام) نفسه باستشهاده.

وهو إخبار بالغيب، والغيب يعلمه الله، وأخبر به رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الذي أخبر الأئمة (عليهم السلام) به، يقول تعالى:

﴿عالِم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول...﴾[٢].

---

(١) ترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق، ص١٨٢، رقم ٢٣٥.

(٢) سورة الجن، آية ٢٧.

يقول الحسين نفسه:

...اللّهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لِنُريَ المعالِمَ من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويُعْمل بفرائضك وسنّتك وأحكامك[1].

أي إن مواقفنا ليست لمجرد السلطة والحكم، بل السلطة (لو طلبناها) فهي لإحقاق الحق، وإثبات العدل، والعمل بالفرائض والسنن.

ثم يُبيِّن غاية حكم بني أميّة:

---

(١) هذه الكلمات نُقلت عن الحسين (عليهم السلام) أو عن علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فــإنكم ألا تنصرونـــا وتنصفونـــا

قَــوِيَ الظَلَمــةُ عليكــم، وعملـــوا

على إطفاء نـــور نبيِّكـــم...[1].

إنه المشروع الأموي: إطفاء نور النبوة، وإنشاء سلطة قوية.

لم يقم الحسين ضد مجرد ظلم الحاكمين:

لقد كان ظلمٌ بعد الحسين (عليه السلام)، بل لعلّه زمن العباســيين أكثر منه زمن الأمويين، كما يقول الشاعر:

يا ليت ظلم بني مروان دام لنـــا

وليت عدل بني العباس في النـــار

كذلك قبل الحسين:

لقد قُسِّمت أموال المسلمين على فئة قليلة من الناس، واستأثر بنـــو أميّة بحكم الأمصار في زمن عثمان بن عفان، واضطُهِد بعـــض صحابـــة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كأبي ذر الغفاري الذي نُفي عن المدينـــة

---

(١) بحار الأنوار، ج١٠٠، ص٨٠، ناقلاً عن تحف العقول.

المنوَّرة إلى الشام، عندما لم يُطِقْ معاوية (وكان آنذاك والياً على الشام من قِبَل عثمان) دعوته للحق وزهده ورساليته وعظمة نفسه، الذي جعل الناس تلتف حوله، وأُخرج من الشام بأمر من عثمان ونُفِيَ إلى الربذة، وهي منطقة لا سكن فيها، حيث عاش هناك مع ابنته، وليس عندهما سوى شاة يعيشان منها، وتُوُفِّي هناك وحيداً، فصدق قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لأبي ذر:

يا أبا ذر تمشي وحدك وتموت وحدك وتُبعث وحدك[1].

ووزّعت أموال المسلمين بحسب الهوى والمصالح الخاصة، لا بحسب مصالح المسلمين وحاجاتهم، وبدل أن تنفق على مستحقّيها إذا بها تدخل في جيوب المحسوبين على الدولة، مستغلّين ضعف الخليفة عثمان بن عفان، وميله إلى عشيرته من بني أميّة، وبذلك ظهرت طبقة ثريّة جداً، وإلى جانبها طبقات فقيرة، وكان سبب ذلك استئثار عثمان وعشيرته من بني أميّة والمحسوبين عليه، والولاة الذين عَيَّنَهم بالفيء والغنائم.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٣، ص٢٨، ناقلاً عن عبد الله بن مسعود.

نماذج من أثرياء السلطة:

يتطرق المسعودي في مروج الذهب إلى مَنْ تملّك الثروات الضخمة في تلك الحقبة:

فقد بلغت ثروة الزبير خمسين ألف دينار[1] وألف فرس وألف عبد وضياعاً وخططاً[2] في البصرة والكوفة ومصر والإسكندرية.

وكانت غلّة طلحة بن عبيد الله من العراق كل يوم ألف دينار، وقيل أكثر، وبناحية الشراة أكثر مما ذكرنا.

وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف مائة فرس، وله ألف

(١) وكانت القيمة الشرائية للدينار آنذاك عالية.

(٢) عن لسان العرب لابن منظور: واختط فلان خطة إذا تحجَّر موضعاً وخط عليه بجدار.

بعير وعشرة آلاف شاة، وبلغ
ربع ثمن ماله بعد وفاته أربعة
وثمانين ألفاً.

وحين مات زيد بن ثابت خلّف
من الذهب والفضة ما كان
يكسَّر بالفؤوس غير ما خلّف
من الأموال والضياع بقيمة مائة
ألف دينار.

ومات يعلى بن منبه وخلّف
خمسمائة ألف دينار، وديوناً
وعقارات وغير ذلك ما قيمته
ثلاثمائة ألف دينار.

وأمّا عثمان نفسه، فكان له يوم
قتل عند خازنه مائة وخمسون
ألف دينار، ومليون درهم،
وقيمة ضياعه بوادي القرى

وحنين وغيرهما مائة ألف دينار،
وخلّف خيلاً كثيراً وإبلاً.

وبعد سرد هذه الثروات الضخمة يقول المسعودي:

وهذا باب يتسع ذكره، ويكثر
وصفه فيمن تملّك الأموال في
أيامه (أي أيام عثمان)[1].

ومع كل هذا وغيره، ورغم كل الإنحرافات في التشريع الإسلامي التي حدثت قبل الحسين وبعده، لم يقف أحد من الأئمة (عليهم السلام) موقفاً استشهادياً، ذلك أن الإنحراف لم يبلغ الخط الأحمر الذي بلغه المشروع الأموي، وهو نسف الدين من الداخل وانقلابه من رحمةً للعالمين إلى نقمة عليهم، يطوِّعهم لظلم الظالمين، فتُحنَى رقابُهم، وتُبْتَزُّ أموالُهم وكراماتُهم طوعاً، كما بيَّنا سابقاً.

---

(١) مروج الذهب للمسعودي، ج٢، ص٣٤١ـ٣٤٢.

ولأنه لم يبلغ الخط الأحمر، كان علي بن أبي طالب (عليه السـلام) يقول:

لأسـلّمنَّ مـا سَـلِمَتْ أمـور المسـلمين ولم يكـن فيـها إلاّ جَـوْرٌ عليَّ خاصـة[1].

ما أعظمك يا أمير المؤمنين! لكنها رسالتك.

---

(١) نهج البلاغة، ج١، ص١٥١.



الموقف الصعب

الموقف الصعب:

لقد كان الأمويون يعلمون جيداً أن الحسين (عليه السلام) هو سيد المسلمين، ولو كان في صف المعارضة، و لم تكن السلطة في يده؛ فقد كان سيد قلوب الناس، الإمام المعصوم، الثقة، العدل، حامل همَّ الأمّة، وحارس دين النبي، وقد عبَّر عن ذلك الشاعر المشهور الفرزدَق بقوله مخاطباً الحسين وهو في طريقه إلى كربلاء:

قلوبهم معك وسيوفهم عليك[1].

وهم يعلمون أيضاً أن مبايعة الحسين ليزيد تعني رضى العرب والمسلمين جميعاً، واستتباب الأمر لهم، فيدعِّم ملكهم، ويقوى سلطانهم.

وكان الحسين لم يبايع ليزيد في أيام معاوية، فلمّا مات معاوية، أرسل يزيد إلى واليه على المدينة، الوليد بن عتبة:

---

(١) مقتل الحسين للمقرَّم، ص١٧٤، طبع دار الكتاب الإسلامي، بيروت.

أمّا بعد، فخذ حسيناً وعبد الله
بن عمر وعبد الله بن الزبير
بالبيعة أخذاً شديداً، ليْستْ فيه
رخصة حتى يبايعوا،
والسلام[1].

ثم جمع بمجلسٌ كلاّ من الوليد ومروان بن الحكم والحسين، قال مروان للوليد:

احبس الرجل (أي الحسين) ولا
يخرج من عندك حتى يبايع أو
تضرب عنقه...[2].

وكان الموقف الصعب: إمّا البيعة ليزيد، وإمّا القتل.

---

(١) تاريخ الطبري، أحداث سنة ٦٠، ج٣، ص٢٦٩.

(٢) تاريخ الطبري، ج٣، ص٢٧٠، أحداث سنة ٦٠ هجرية.

موقف الحسين:

إنّ البيعة ليزيد تعني الغطاء الشرعي لمسلك بني أميّة وللفكر الـــذي سوَّقُوه بين الناس، وإذا أُعْطِيَت البيعة من قِبَل شخص كالحسين (عليــــه السلام) في موقعه ورمزيته في العالم الإسلامي، فإن ذلك يعني الإعـــتراف بشرعية الفكر الأموي السالف الذكر. وبهذا يندثر الإســــلام المحمـــدي الأصيل، ليحلَّ محلّه ظلم وجبروت وديكتاتورية، تأخذ من الإسلام لباســاً واسماً، ومن الجاهلية مضموناً وجوهراً.

ويختصر الحسين غاية أولئك الظالمين:

فــإنكم إن لا تنصرونــا وتنصفونــــا
قَــوِيَ الظلمــة عليكــم، وعملـــوا
على إطفاء نـــور نبيِّكــم...[1].

إن بيعة الحسين ليزيد تعني إطفاء نور رسول الله (صلّى الله عليـــــه وآله)، إذن هذه البيعة من منظور الحسين كإنسان مسؤول عن الرســـالة، وعن استقامتها كانت محالاً.

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي، ج١٠٠، ص٨٠، ناقلاً عن تحف العقول.

وهو لا يريد السلطة والحكم، لأنها محال في تلك الظروف بسبب خَوَرَان نفوس الأمّة كما بيَّنا.

لكن بني أميّة لم يَدَعُوه لأنه الخطر الأكبر عليهم، فخَيَّروه بين البيعة والقتل، كما بيَّنا ذلك قبل قليل تحَت عنوان "الموقف الصعب".

البيان الأول لحركة الحسين:

وكان البيان الأول لحركة الحسين عندما قال مخاطباً الوليد بن عتبة أمير المدينة آنذاك:

إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، مُعلنٌ بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله[1].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٥.

هذه العبارة: **"ومثلي لا يبايع مثله"** تلخّص روح حركة الحسين، إنه لا يريد إعطاء شرعية لفكر يناقض روح الإسلام، وفي نفس الوقت، هو لا يريد القتال أيضاً.

وبدأت **الرحلة السلميّة**، بدأت بخروجه (عليه السلام) من المدينة، مروراً بمكة، وانتهت باستشهاده (عليه السلام) في كربلاء.

الحركة السلمية في مواجهة الباطل:

إنه "اللاعنف" بكل معانيه الإيجابية تَلْمُسُه في كل موقف وحركة وسَكَنَة في هذه الرحلة.

خرج من مكة كي لا يُقتل فيها فتنتهك حرمتها.

وأَذِنَ للناس بالتفرُّق عنه لأن بني أميّة يطلبونه دونهم.

وفي كربلاء، يَعِظُ هذا الجيش الكبير الواقف تجاه قلّة مؤمنة طاهرة خالصة، يَعِظَهم الحسين ويُبَيِّن لهم الحق من الباطل، ولعجزهم يجيب قيس بن الأشعث:

لا ندري ما تقول يا حسين،

ولكن انزل على حكم بني

عمّك، فإنهم لن يُرُوك إلاّ ما تحبّ.

فقال الحسين (عليه السلام):

لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرُّ فرار العبيد[1].

وعندما يبالغ في النصيحة يقول له شمر بن ذي الجوشن:

أَعَجِلْتَ بالنار يا حسين.

فَيَهِمُّ مسلم بن عوسجة (رض) أحد أصحاب الحسين أن يرميه بسهم، فيمنعه الحسين قائلاً:

لا ترمِهِ فإني أكره أن أبدأهم[2].

وتطلب منه ابنته أن يعود:

إذن، رُدّنا إلى حرم جدّنا.

---

(١) الإرشاد، للشيخ محمد بن النعمان العكبري، الملقّب بالمفيد، ص٢٣٥.

(٢) الإرشاد، ص٢٣٤.

فيقول:

هيهات هيـــهات، لـــو تُـــرِكَ القطـــا

ليلاً لنــــام(١).

إنها بصمات الموعظة الحسنة و "اللاعنف" الموجودة في كل حركـة وسكنة من هذه الرحلة السلميّة التي انتهت بفاجعة كربلاء، لأن القـــوم خيَّروه بين البيعة أو القتل، فاختار الشهادة.

لم يكن الاستشهاد غاية، بل كان خياراً بين أمرين أحلاهما مرّ:

ـ بين البيعة التي يكسب فيها الحسين دنيا عريضة، لكنها تعني عـــدم كون الحسين حسيناً، وبهذا ينطفئ نور الإسلام.

ـ وبين القتل الذي يعني الاستشهاد مع الأصحاب وسبي النساء.

وتتوالى البيانات الحسينية:

ألا وإنّ الدعـــيّ وابـــن الدعـــيّ قـــد

ركـــز بـــين اثنتـــين: بـــين السِـــلّة

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي، ج٤٥، ص٤٧.

والذلّة، وهيهات، ما آخذ
الدنيَّة، أبى الله ذلك ورسوله،
وجدودٌ طابت، وحجورٌ
طهرت، وأنوفٌ حميّة، ونفوسٌ
أبيّة، لا تؤثر مصارع اللئام على
مصارع الكرام[١].

المواجهة والمعركة الدموية ضمن الحركة السلمية:

وإذا كان لا بدّ من مواجهة، فلتكن، مهما كَبُرت التضحيات، لأنَّ المضحَّى لأجله أكبر، إنه حفظ الدين والإنسان، ومع تحقق المواجهة فإنها ستجري بأسبابها وأنماطها الطبيعية، فيرسل الحسين (عليه السلام) الكتب والرسائل إلى الأمصار، ويطلب النصرة، ويستنهض الهمم، كيلا يكون لأحدٍ حجّة في أنه لم يُطلَبْ منه المؤازرة، وقبل المعركة يعبِّئ جيشه الصغير جداً نسبة إلى جيش الأعداء، فكان جيشه الشريف حوالي السبعين، بينما يقدّر جيش الأعداء بعشرات الآلاف. ورغم صِغَر جيشه ووضوح

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي، ج٤٥، ص٩.

النتيجة، فقد قسّمه إلى ميمنة وميسرة وقلب، ووزّع المسؤوليات وأعطى الرايات، وهو الوضع الطبيعي للمواجهة، وبهذا كانت المعركة معركة دفاعٍ لا معركة هجوم؛ فكانت معركةً دمويةً فُرِضتْ عليه سلام الله عليه ضمن الحركة السلميَّة.

استشهاد الحسين (عليه السلام):

وكانت النتيجة الحتمية، الاستشهاد لحفظ الدين وصون الأمّة، وبهذا أخبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كما مرّ، بل والأئمة، وهذا معنى أن القتل كُتِب عليهم، وبهذا امتاز الحسين عن كل الشهداء في التاريخ، فبكته الملائكة، وبكاه الأنبياء، وورد ذكره على ألسنتهم، حتى العهد القديم أشار إلى استشهاد الحسين، وذلك عندما يذكر انتقام الربّ:

"فهذا اليوم للسيد ربّ الجنود،

يوم نقمة، للانتقام من مبغضيه".

ثم يذكر السبب:

"لأن للسيد ربّ الجنود ذبيحة في أرض الشمال عند نهر الفرات"[1].

نتيجة استشهاد الحسين (عليه السلام):

وكان ما توخاه الإمام الحسين (عليه السلام):

لقد استيقظت الأمة بعد أن خدرها حكامها.

لقد استعادت عنفواها بعد أن كانت النفوس خائرة، فكثرت الثورات ضد الظالمين، واهتزت عروشهم.

لقد استفاقت بعد أن فوجئت باستشهاد رجل عظيم سيد في أعظم دولة وأمة على وجه الأرض آنذاك.

لقد صفعت الأمة بعد أن فجعت بسيد شباب أهل الجنة مذبوحا على شاطئ الفرات.

---

(١) أرميا: ٤٦: ٢ــ١١.

وعلمت أن الأفكار التي يُروِّجُ لها الأمويون ليست الإسلام الـــذي أتى به محمد (صلّى الله عليه وآله)، وبهذا انكشفت المدرســـة الأمويّــة، وأصبحت بلا غطاء شرعي.

وبدأت الأمّة تميِّز بين مدرستين:

بين مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، ومدرسة بني أميّة.

بين مدرسة الإسلام المحمدي، ومدرسة الإسلام المزيّف.

وهذه كانت النتيجة المتوخاة: وعي الأمّة لهذا الإنحراف الخطـــير، وكشف الغطاء عن تزييف الإسلام، وإعادته ناصعاً، طاهراً، صافياً، رحمة للعالمين.

ولهذا قيل: الإسلام محمدي الوجود، حسيني البقاء.

ولعلّه يفسِّر الحديث النبوي الشريف:

حســين منّــي وأنــا مــن حســين،

أحبّ الله مَنْ أحــبّ حســيناً.

إن عدم البيعة من رجل مثل الحسين أو استشهاده سيؤدي حتماً إلى سقوط دولة الظلم (وهذا ما حدث).

لقد كانت كربلاء أكبر من ثورة وأهمّ من نهضة وأقسى من صفعة.

لقد عرفت الأمّة طريقها، تعلّمت رفض التزييف والتشبث بالحقيقة، تعلّمت مواجهة الظالمين كما يقول الحسين (عليه السلام):

والله ما أرى الموت إلاّ سعادة

والحياة مع الظالمين إلاّ ذُلاًّ وندماً[1].

وأن تعود إلى كتاب الله:

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار﴾[2].

من أهم دروس عاشوراء:

أن تضع الأمّة غاية نصب أعينها في كل حركة، وأن تضع مشروعاً تهدف إلى تنفيذه، فليست الثورة لأجل الثورة، حيث إنّها تكون نتيجة

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، ج٣، ص٣٦٦.

(٢) سورة هود، آية ١١٣.

لاحتقان وتراكم ممارساتٍ تؤدّي إلى انفجار، وليس التحرّك لأجل التحرّك، ولا الاستشهاد لأجل الاستشهاد، بل يكون لأجل مشروع وهدف وغاية مرسومةٍ ساميةٍ، وكلما كانت الغاية عظيمة، كانت التضحيات أعظم.

وهكذا كانت حركة الحسين، حركة لحفظ الدين، وإسقاط الظالمين.

وقد تحقق ما أراد (عليه السلام)، عبَّر عن ذلك أجمل تعبير، الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، عندما عاد إلى المدينة بعد فاجعة كربلاء:

جاءه إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله، فقال له: مَنْ الغالب؟
فأجابه الإمام (عليه السلام):
إذا دخل وقت الصلاة، فأذّن وأَقِمْ تعرف مَنْ الغالب[1].

---

(١) مقتل الحسين للمقرَّم، ص٦٦.

وأيضاً:

تعلّمت الأمّة أن الثورة أو الحركة تحتـــاج إلى الزمـــان والمكـــان المناسبين، وإلاّ فلو استشهد الحسين زمن معاوية لما كانت الغاية المتوخـاة، فإن معاوية رغم كل محاولاته لنسف أسس الإسلام كما بيّنا، إلاّ أنه كان يلبس لباس الدين، ويتظاهر بالتقوى، وبهذا أَغْشى عيون الناس.

فقد طفق القُصَّاص والوعَّاظ والخطباء يخترعون له الأحاديث علـــى لسان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في فضائله، وينشـــرون أخلاقـــه، والناس تصدّقهم للبساطة التي تحكم عادة عامة الناس، وعـــدم التحقيـــق والتدقيق عندهم، فانتشر بين الناس مثلاً حِلْمُ معاوية، ونُسجَ على ذلـــك حكايات وقصص في حلمه، كقصص الوافدات عليه، لكنهم نســـوا أن معاوية قتل الصحابي الجليل حُجْر بن عدي الكنـــدي (رض) وأصحابـــه ظلماً وصبراً، وقتل عمرو بن الحمق الخزاعي وغيرهم كثيرون، فأين الحلم؟

وانتشر بين الناس وفاء معاوية، ونسوا غدره بصلح الحسن!

وانتشر اهتمامه بشؤون وهموم الأمّة، ونسوا تنصيبه لابنه الفاسق الفاجر يزيد على رقاب المسلمين!

وانتشر بين الناس كرمه وسخاؤه وهو كان يجبي الضرائب ويوزّعها على خصوص حاشيته وجلاوزته ومواليه، ليعيش الباقي في الفقر!

لقد كان يَتَزَيَّا بزيّ التقوى والإيمان، وانطلى ذلك على عامة الناس، كان ممثّلاً بارعاً.

ولو استشهد الحسين في أقصى بلاد المسلمين، كما أشار عليه عبد الله بن عباس، ومحمد بن الحنفية، وغيرهما من الأصحاب في الذهاب إلى اليمن أو غيرها من الأصقاع، لما كان لاستشهاده ذلك الأثر المدوّي.

ولو هرب الحسين (عليه السلام) إلى الشعاب ورؤوس الجبال، أو إلى المفاوز والمناطق الوعرة فراراً بنفسه وأهله من الموقف والمواجهة، لفرغت الساحة، ولصال الفكر الأموي وجال من دون منازع، ولَكَسِبَ الغطاء الشرعي الذي يكفل له الاستمرار والدوام، ولأعطى الحسين بهروبه الشرعية لِخَوَرَان النفوس الذي كان سائداً في تلك الحقبة.

لم يكن غير الحسين (عليه السلام) يستطيع القيام بهذا الدور:

بل لا يوجد غير الحسين؛ إن نسبة التخدير التي وصلت إليها الأمّة كانت عالية جداً، فما عاد ينفع الكلام ولا المواعظ لإزالة هذه الأفكار الهدّامة التي أدّت إلى نشوء مجتمع خائر، وكان لا بدّ من شخصية عظيمة تضحي بالغالي والنفيس من أجل إيقاظ الأمّة.

ومَنْ كان غير الحسين؟

سيد قلوب المسلمين، ومحلّ احترامهم، ورأس المعارضة للحاكم الظالم في أعظم دولة على وجه الأرض آنذاك، حيث كانت الدولة الإسلامية تحكم من المحيط الأطلسي غرباً إلى مشارف الهند شرقاً.

هذا من الجهة الدنيوية.

أما من الجهة الأخروية فهو الإمام المعصوم الذي نزل القرآن بعصمته:

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٣٣.

وأهل البيت بناء على معظم المفسّرين والأحاديث الشـــريفة هـــم: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين. والرجس هو القـــذارة المعنويـــة، والمراد عصمتهم من الذنوب.

والحسين سيد شباب أهل الجنّة كما ورد في الحديث:

أن الحسن والحســـين ســـيدا شـــباب أهل الجنّـــة[١].

والحسين إمام قام أم قعد:

إبنـــاي هـــذان إمامـــان قامـــا أو قعـــدا[٢].

وهو ابن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الذي ارتبطت محبّته بمحبة الله، وبغضه ببغض الله:

---

(١) تاريخ الطبري، ج٣، ص٣١٩، أحداث سنة ٦١ هجرية.

(٢) المناقب لابن شهراشوب، ج٣، ص٣٦٧.

مَـــنْ أحـــبَّ الحســــــن والحســــــين

أحببتُـــه، ومَـــنْ أحببتُـــه أحبَّـــه الله،

ومَنْ أحبَّه الله أدخلـــه الجنّـــة، ومَـــنْ

أبغضـــهما أبغضتُـــه، ومَـــنْ أبغضتُـــه

أبغضـــه الله، ومَـــــنْ أبغضــــه الله

خلّده النــــار[1].

---

(١) المناقب، ج٣، ص٣٨٢.

ميزة الحسين (عليه السلام) عن
كل ثوار الدنيا

ميزة الحسين عن كل ثوار الدنيا:

بغضّ النظر عن الإسلام والدين والروايات عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فقد يقال: إنّ في أنحاء الدنيا ثواراً كثيرين قاموا وثاروا ضد الظلم واستشهدوا، فما ميزة الحسين (عليه السلام)؟

نقول للسائل: هناك في الدنيا مَنْ قام ضد الظلم والجور في الشرق والغرب، مسلمين وغير مسلمين، إلاّ أن الحسين هو الشخصية الوحيدة الفريدة في التاريخ التي تتمتع بهذا الثقل المعنوي والروحي والمادي، ثم ضحّت بكل غالٍ ونفيس حتى بالنفس وبأهل البيت وبالأبناء والأخوة وأبناء العمومة وبالأطفال والنساء، وبالأصحاب. كل ذلك ليس لأجل رفع الحيف عن نفسه ولا عن أصحابه، كما هو شأن الثوار في العالم، فما كان هو بشخصه مضطهداً، بل لقد كان سيداً مهاباً عظيماً، إنه الحسين سيد الحجاز[1]، المطاع بين الناس، الكريم السخي، ملجأ الملهوفين،

(١) هو تعبير عبد الله بن عباس مخاطباً الحسين: "..أقم بهذا البلد، فإنك سيد الحجاز..". تاريخ الطبري، ج٣، ص٢٩٥، طبع دار الكتب العلمية، بيروت.

وغياث المحتاجين، ولكن لأجل إعادة الحياة إلى مفهومٍ ودينٍ وفكرٍ وأمّــة، من أجل صون رسالة عن الإنحراف، إنه الوحيد الفريد في التاريخ الــذي كان كذلك؛ فليس في الشرق والغرب مثله، إنه الشهيد المميّز بين كل بني البشر، إنه رمز الأحرار في كل مكان.

أهمية إحياء ذكرى
الحسين (عليه السلام)
لكل البشرية

أهمية إحياء ذكرى الحسين لكل البشرية:

ولأن إحياء ذكرى الحسين (عليه السلام) وإقامة مجالس العزاء والاحتفال بذكرى عاشوراء هو تجديد عهد وميثاق مع نهج الإسلام، الذي هو نهج الإنسان ونهج الفطرة، مع رجلٍ ضحّى بكل ما يملك من أجل البشر، كل البشر، ومن أجل الإنسان، من أجل الحق، ودحضاً للباطل.

ومجالس العزاء تعني أن يعيش الحق دائماً في نفوسنا، ويكون هو منارة الطريق.

فليست المجالس الحسينية ضد أحد من الناس إطلاقاً، وليست ضد بني أميَّة خاصة، بل هي ضد نهج يريد الإنحراف عن الحق وتحطيم الإنسان، ولذا نجد كثيراً من الحكّام، ممن جاء بعد بني أميّة حاربوا ذكرى الحسين كما سنوضع لاحقاً.

إن استمرار الحرية بمعناها الحقيقي في العالم كله رهن باستمرار نهج الحسين، واستمرار نهج الحسين رهن بإحياء ذكراه.

لاحظ عزيزي القارئ، عندما تكون مجالس الحسين وزيارته مدارس للفكر وللحرية وموقفا من الظلم، لا مجرد طقوس وتقاليد، تكون مصدر خوف وقلق للحاكمين الجائرين، فنجدهم يحاربون هذه المجالس، ويحاربون زيارة الحسين (عليه السلام)، من حين استشهاد الحسين إلى يومنا هذا. نذكر منهم الخليفة العباسي المتوكل الذي حاول منع الناس من زيارة الحسين (عليه السلام)، ولما وجد أن وسائل المنع بشتى أشكالها لم تفلح في إيقاف تدفق الناس لزيارته (عليه السلام)، أمر هدم القبر الشريف، وزرع ما حوله وسقيه بالماء كي يعفى أثره[1]، إلاّ أن الروايات وكتب التاريخ تقول أن الماء قد حار حول قبرة الشريف، ولذا سمّي بالحائر الحسيني[2].

فكم هو جميل ورائع أن تحتفل الدنيا كلها باستشهاد الحسين.

---

(١) تاريخ الطبري، ج٥، ص٣١٢، أحداث سنة ٢٣٦ هجرية.

(٢) في كتاب جواهر الكلام في شرح الإسلام، ج١٤، ص٣٤٠، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، نقلاً عن كتاب الذكرى للشهيد الأول محمد بن مكي: أن الحائر الحسيني هو الموضع الذي حار فيه الماء لما أمر المتوكل بإطلاقه على قبر الحسين (عليه السلام) ليعفيه، فكان ذلك لا يبلغه.

لقد اشتهر قول المهاتما غاندي:

تعلّمت من الحسين كيف أكون

مظلوماً فأنتصر.

وبعد هذا كله نتساءل: متى يبدأ العالم من مسلمين ومسيحين وغيرهم، بالاستفادة من أنوار المدرسة الحسينية، وإلى متى يبقى الاحتفال باستشهاد الحسين مقتصراً على المسلمين الشيعة في الغالب؟

المسألة ليست صراعاً عشائرياً:

لقد حاول بنو أميّة التخلّص من الضغط الجماهيري الذي سبّبه ثقل الحسين وأهل البيت الربّاني والفكري، فلجأوا إلى تصوير الصراع بأنه مسألة عشائرية، بين بني هاشم وبني أميّة، حتى قال يزيد بن معاوية عند وصول نبأ استشهاد الحسين:

ليتَ أشياخي ببدر شهدوا

جزع الخزرج[1] من وقع الأسل[2]

---

(١) الخزرج من أنصار رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

(٢) الأسل: السيوف.

لأهلّوا واستهلّوا فرحــاً

ثم قــالوا يــا يزيــد لا تشــل

قد قتلنا القرم من ســاداهم

وعَدَلنــا ميــل بــدر فــاعتدل

لست من خندف إن لم أنتقــم

من بــني أحمــد مــا كــان فعــل

لعبت هاشم بالملك فــلا

خــبر جــاء ولا وحــي نــزل[١]

عبَّر يزيد عن النبوة بأها ملك، والصراع صراع بين عائلتين.

ومن قبله قول جدّه أبي سفيان للعباس عمّ النبي (صلّى الله عليه وآله):

لقــد أصبــح ملــك ابــن أخيــك

عظيمــاً. فأجابــه العبــاس: ويحــك

إها النبــوة[٢].

(١) حياة الإمام الحسين بن علي للشيخ باقر شريف القرشي، ج٣، ص٣٧٧، ناقلاً عن أعـلام النساء، ج١، ص٥٠٤، وعن البداية والنهاية، ج٨، ص١٩٢.

(٢) تاريخ الطبري، ج٢، ص١٥٨، أحداث السنة الثامنة بعد الهجرة.

وللأسف فقد انتشرت هذه الفكرة بين الناس حتى وقع فيها بعض محبّي أهل البيت، فقال:

عبد شمسٍ قد أضمرت لبني
هاشم حرباً يشيبُ منها الوليدُ
فابن حربٍ للمصطفى وابن هندٍ
لعليٍّ وللحسين يزيد

الصورة واضحة: عشيرتان متنازعتان، فابن حرب للمصطفى، أي أبو سفيان للنبي محمد (صلّى الله عليه وآله)، وابن هند لعليّ، أي معاوية لعليّ، وللحسين يزيد، كل ما في الأمر أن بني أميّة عشيرةُ سوء ظالمة لبني هاشم، إنها الصورة التي سعى بنو أميّة لتثبيتها في عقول الناس.

يقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ردّاً على هذه الصورة:

إنّا وآل أبي سفيان أهل بيتين
تعادينا في الله، قلنا صدق الله،
وقالوا كذب الله[1].

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي، ج٥٢، ص١٩٠.

وأختصر نوعية الصراع بهذه الكلمة.

لماذا الدمعة؟

وقد يسأل سائل:

لماذا نبكي على الحسين؟ وما الفائدة من الدموع بعدمرور ١٤ قرنا من الفاجعة؟

ونقول له:

إن كل عمل بلا عاطفة فهو جمود.

فالعقل يحكم بوجوب اتباع الحق، ويحكم بأن الظلم قبيح، وأن العدل حسن، وأنه يجب مناصرة أهل الحق، لكن هذا الحكم العقلي يحتاج إلى تفعيل، فيحتاج إلى عاطفة تحرك الإنسان في اتجاهه، ألا ترى أن إنقاذ غريق أو سد حاجة محتاج أمر حسن مرغوب فيه يحكم العقل به، ويتحرك الإنسان لأجله، ولكن الحركة تكون أكبر لو كانت تربطه بك عاطفة، كما لو كان ابنك أو أخاك أو صديقك أو غير ذلك.

وكلما كانت العلاقة العاطفية أقوى، كان العطاء أكبر.

من هنا، نلاحظ أن أكثر الناس عطاء، أكثرهم عاطفة.

والبكاء على الحسين (عليه السلام) يفعّل في النفس العاطفة على الدين، وعلى الناس، يفعِّل حبَّ الحقيقة، ويُغذّي في نفس كل بشر تحمّل المسؤولية، ويحرِّك الإنسان باتجاه نصرة القضية التي استشهد من أجلها الحسين، وهي مقاومة تحريف الدين والفطرة البشرية، ويغذّي في نفس كل بشر روح المسؤولية تجاه الحقيقة، أي تجاه الإنسانية.

. إن استمرار الحرية في الدنيا، بحقيقتها لا بظاهرها، رهن باستمرار نهج الحسين، واستمرار نهج الحسين رهن باستمرار ذكراه، فتعالوا أيها الناس من كل الأديان والمذاهب والنِحَل لنحيي ذكرى الحسين.

من هنا وردت أحاديث وروايات كثيرة تحضّ على البكاء على الحسين (عليه السلام) نذكر منها:

عن الإمام علي بن موسى الرضى (عليه السلام): مَنْ تَذَكّر مصابنا، وبكى لما ارتكب منّا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة؛ ومَنْ ذُكّر بمصابنا فبكى

وأبكى، لم تبكِ عينه يوم تبكي العيون؛ ومَنْ جلس مجلساً يحيا فيه أمرنا، لم يمت قلبه يوم تموت القلوب[1].

وروايات كثيرة جداً مذكورة في نفس المصدر وغيره.

---

(١) بحار الأنوار، للمجلسي، ج٤٤، ص٢٧٨، ناقلاً عن أمالي الصدوق، المجلس ١٧، الرقم ٤.

الفهرس

اللهم.. فارحم تلك الوجوه التي غيّرتها الشمس

وارحم تلك الخدود التي تقلبت على حفرة أبي عبد الله (ع)

وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا

وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا

وارحم الصرخة التي كانت لنا

الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام)